إلى القارئ

ما كاد يعلن عن ايقاف القتال فى الجزائر الشقيقة وفى غمرة الفرح بالانتصار التى شملت جميع الاحرار فى العالم بأسره وفى الشمال الافريقى بالخصوص انبرى المسؤولون فى هذه الديار يدرسون فكرة توحيد اقطار المغرب العربى الكبير على ضوء استقلال الجزائر الوشيك ويحللون أصولها ووجوهها وايسر السبل لتحقيقها رغم بعض العقبات الحقيقية او المصطنعة ٠

ولعل أهم عمل فى طريق هذه الغاية السامية واكثره ايجابية الندوة التى نظمها الاتحاد العام لطلبة تونس صحبة زملائهم الجزائريين والمغاربة حول ضبط الأسس الاقتصادية والاجتماعية التى يجب ان تبنى عليها وحدة المغرب الكبير

واذا أجمع كل من أبدى رأيه فى هذه الندوة على ان وحدة الشمال الافريقى لكى تبنى على اساس صحيح متين وتتغلب على أزمات النمو كلها وتحبط مناورات الاستعمار وأذنابه يجب ان تكون مرحلتها الاولى تنسيقا عضويا فى ميدان الاقتصاد وانسجاما فى أهداف التخطيط ومراحله وسعيا الى التوازن فى وحدات النمو الصناعى والزراعى، فان ذلك لا يعنى ان البنية الاساسية هى كل شىء ، بل لابد من تنظيم ندوة مماثلة للبحث عن أوجه توحيد التعليم فى غاياته ومناهجه وبرامجه ٠٠٠ يشارك فيها المسؤولون والاخصائيون من الاقطار الاربعة اذ لا يخفى تأثير التعليم فى تكوين الاجيال واذا كان للاستعمار الثقافى دور ذو بال فى ما قد يلاحظ اليوم من تباعد أو تخالف فى التفكير او النظرة الى الاشياء بين ابناء المغرب الكبير فانه من الضرورى من باب أولى وأحرى ان نقضى على ذلك من الاساس وان نوفر لأطفال اليوم ورجال الغد فى وطننا الكبير الغذاء العقل الصالح والتكوين المنسجم فنهيىء للمستقبل أسبابا كبرى للتفاهم والتقدير المتبادل ٠

ثم أليس من الاكيد أيضا أن يجتمع رجال الثقافة والادب والفن وينظروا فى ماعسى ان ينهضوا به من عمل ويتصدوا اليه من خلق وانشاء ويحددوا دورهم فى تجسيم وحدة المغرب الكبير والخروج بـه من طور القوة الى طور الفعل فهم الذين يوسعون ثقافة الاجيال ويهذبون أذواقها ويثرون مهجها ويصقلون عـواطفها وهم الذين يعرفون بمجتمعهم ويخلدونه بما ينتجونه من روائع الشعر والقصص وأنواع الفنون الجميلة ، وقد يكون من الصالح فى هذا المقام ان تنظم لا ندوة واحدة بل ندوات تكون كل واحدة منها خاصة باحد جوانب الثقافة من أدب ومسرح وسينما وموسيقى ورسم ونحت وفنـون شعبية وغيرها ٠

واذا تعذر فى الآن تنظيم مثل هذه الندوات فى المستوى الرسمى فانه يمكن لكتابة الدولة للشؤون الثقافية ان تعهد بذلك الى احدى المؤسسات الثقافية عندنا او احدى المجلات لكى نقترب من الهدف ونوضح السبل على الاقل ٠

ان الاقتصاد عماد الوحدة وشرطها الاساسى ٠ ما من شك فى ذلك ٠ ولكن لحمتها وطاقتها الانشائية فى حاجة الى المثل العليا الهادية والعواطف الخلاقة والغذاء الروحى الحافظ للكيان القومى ، وللثقافة والادب والفنون الجميلة فى ذلك حظ لا ينكر ٠ الا فلينتبه الى هذا كل المسؤولين فى اقطار مغربنا الكبير٠

الفكـــر

في صقليـــــــــة

شعـر جعفـر مـاجـد

اهـدى هذا القصيد الى الاتحاد العـام لطلبـة تـونس
الـذى أتـاح لي زيـارة صقليـة في مـارس 1962

سَل الْأَطْلاَلَ هَلْ نَسِيَتْ جُدُودِي
وَلاَ تَخْشَ اتِّهَامَكَ يَاقَصِيدِي
إِذَا الْأَطْلاَلُ أَلْهَمَنِي بِلاَهَا
فَمَا أَغْنَاكَ عَنْ هَذَرِ الْحَسُودِ
وَلَوْ كَانَ الْجَدِيدُ كَمَا أَرَادُوا
لَمَا سَبَقُوا إلى (الشِّعْرِ الْجَدِيدِ)
أَلَمْ أَعزِفْ عَلَى أَوْتَارِ قَلْبِي
فَمَا ضَجُّوا وَلاَسَئِمُوا نَشِيدِي ؟
وَدَغْدَغْتُ النُّفُوسَ فَلَمْ أَدَعْهَا
تَشُمُّ الْحُبَّ إِلاَّ مِنْ وُرُودِي ! !
أَلَمْ أَسْمَعْ أَنِينَ ٱلشَّعْبِ لَمَّا
دَعَانِي الْكُوخُ فِي ٱلْبَرْدِ الشَّدِيدِ؟
وَحَدَّثَنِي الْفَقِيرُ فَقُمْتُ وَحْدِي
أُحَدِّثُ عَنْ تَنَهُّدِهِ ٱلْمَدِيدِ !
نَظَمْتُ الشِّعْرَ لَمْ أَطْلُبْ عَطَاءً
وَمَا كُنْتُ الْغَنِيَّ عَنِ النُّقُودِ

صَدَقْتُ الْفَنَّ فِي سِرِّي وَجَهْرِي
وَحَسْبُ الْفَنِّ أَنْ يَبْقَى رَصِيدِي
فَمَالِي الْيَوْمَ لاَ أَبْكِي إِذَا مَا
تَسَابَقَتِ الدُّمُوعُ إِلَى الْخُدُودِ
أَلَسْتُ الْيَوْمَ أَشْقَى النَّاسِ حِسًّا
وَأَبْعَدَهُمْ عَنِ الزَّهْوِ الْبَلِيدِ ؟
أَلاَ يَاعَيْنُ لاَ يُخْجِلْكِ ذَمٌّ
فَجُودِي مَامَلَكْتِ الدَّمْعَ جُودِي !
تَنَفَّسْتُ الْهَوَاءَ فَضَاقَ صَدْرِي
وَأَلْفَيْتُ الْحَشَا مِثْلَ الْوَقُودِ
وَجَفَّ الْحَلْقُ حَتَّى خِلْتُ نَفْسِي
أَعُبُّ النَّارَ مِنْ رَحْبِ الْوُجُودِ
رَأَيْتُ الْبَحْرَ فِي ذُلِّ اغْتِرَابِ
طَرِيحَ الرَّمْلِ كَالْبَطَلِ الشَّهِيدِ
كَأَنَّ عَدُوَّهُ لَمَّا ثَنَاهُ
وَكَسَّرَ عَزْمَهُ رَغْمَ الصُّمُودِ
جَثَا فَوْقَ الْجَبِينِ الْحُرِّ زَهْوًا
وَأَوْثَقَهُ بِأَعْمِدَةِ الْحَدِيدِ (1)

(1) يشرف جبل بلغرين « Monte Pellegrino » على البحر وتقع في أعلاه كنيسة تحمل الصلبان ـ

فَبَاتَ الشَّطُّ يَحْرُسُهُ صَلِيبٌ
كَمَا لَوْ خَافَ مِنْ فَتْحٍ جَـدِيدِ
هَنِيئًا لِلصَّلِيبِ !! فَمَـا عَلَيْـهِ
إِذَا مَانَامَ فِي ٱلْجَبَـلِ ٱلْوَطِيـدِ
لَقَدْ طَـالَ انْتِظَارُهُ دُونَ جَدْوَى
وَلَمْ تَرْجِـعْ أَسَاطِيـلُ الْجُدُودِ
وَإِنْ ذَرَفَتْ عُيُونُ الْكَهْفِ دَمْعًا
فَهَلْ أَغْنَتْ جُهُودُهُ عَنْ جُهُودِي؟(2)
أَيَا أَسَدًا (3) أَصِحْ إِنِّي غَرِيبٌ
أَيُعْجِمُ يَاتُرَى وَطَنُ ٱلْأُسُـودِ ؟
وَمَـا لِلْقَيْرَوَانِ لَغَـا بَنُوهَـا
وَقَامَتْ بَيْنَهُمْ شُمُّ الْحُدُودِ ؟ (4)
زَرَابِيهَـا حَكَتْ أَخْبَـارَ عَهْـدٍ
مَضَى كَالْخِزْي فِي رَكْبِ الْعُهُودِ (5)
أَتَيْتُكَ فِي الظَّلَامِ وَلَيْسَ عِنْدِي
سِوَى صَمْتٍ تَضِيقُ بِهِ حُدُودِي (6)

(2) ابتنيت هذه الكنيسة في كهف نبعت فوقه عين ماء فتساقطت قطراتها في صحن الكنيسة.
(3) أسد بن الفرات فاتح صقلية .
(4) خرجت الجيوش الفاتحة لصقلية من القيروان ، بلد الشاعر .
(5) مازال الصقليات يحسن صناعة الزربية على الطريقة القيروانية .
(6) دخلت سرقوسة حيث دفن أسد بن الفرات بعد الغروب بقليل .

وَنُــور مَــاتَ فِي عَيْنَيَّ لَمَّـا
رَأَيْتُ ٱلْأَرْض أَخْجَلَهَا وُجُودِي
وَغَمْغَمَـةِ الرِّيَــاحِ تَهُـدُّ سَمْعِي
كَأَنَّ ضَجِيجَهَا غَضَبُ ٱللُّحُـودِ
فَلَيْتَ ٱلْعَيْنَ لَمْ تُبْصِرْ نَخِيلاً (7)
وَلاَ مِفْتَاحَ هَاتِيكَ ٱلْوُفُودِ (8)
فَمَا فِي ٱلْعَيْشِ طِيبٌ بَعْدَ ذُلٍّ (9)
وَلَيْسَ ٱلْعِزُّ فِي ٱلْمَجْـدِ التَّلِيدِ
مَحَارِيبُ ٱلْمَسَاجِدِ لَـوْ تَرَاهَا
تَشُبُّ النَّــارَ فِي قَلْبِ ٱلْجَلِيدِ
كَأَنَّ لَهَا عَـلَى ٱلْعَرَبِ ٱغْتِيَاضَـا
فَلَـمْ تَكْتُمْ صَدَى الأَمْسِ ٱلْبَعِيـدِ

---

(7) في كنيسة « San Giovanni degli Eremiti »التي كانت مسجدا عربيا لم يمسه إلاتحوير ضئيل توجد نخلة كبيرة مصفرة تختفي وراء أشكال عربية الهندسة جذبنا اليها الدليل وقال مبتسما : إنا الآن في افريقية لافي بلرمة ؟

(8) في متحف « La Favorita » ببلرمة مشهد يمثل فوارس النورمان تلتقي أمام كنيسة بالوفود العربية التي خرجت إليها يتقدمها قائدها وبين يديه وسادة وضع فوقها مفتاح الجزيرة ليقدمه هدية إلى جيوش النورمان.

(9) أخذت هذا المعنى من رخام منقوش بالعربية يوجد في غرفة من كنيسة « San Giovanni degli Eremiti »كانت بيت الصلاة في المسجد العربي والرخامة من بقاقير ياسين بن علي بن يعيش المتوفى (ليلة الأحد السابع لرجب الفرد عام أربع وتسعين وستمائة) .

وَخَيْرٌ لَوْ مَحَاهَا ٱلدَّهْرُ مَحْوًا
فَيُطْوَى عَارُهَا طَيَّ ٱلْبُنُودِ
وَمَا كَانَتْ صِقِلِّيَةُ خِتَامًا
وَمَا زِلْنَا كَأَشْتَاتِ الْعَبِيدِ
فَقُرْطُبَةُ بَغَا فِيهَا النَّصَارَى
وَيَافَا دَاسَهَا رِجْسُ الْيَهُودِ
وَفِي الشَّرْقِ الْمُخَدَّرِ أَلْفُ شَعْبٍ
يُضِيعُ ٱلْعُمْرَ فِي حُكْمِ الْقُرُودِ
حَيَاةُ مَلِيكِهِمْ فِي دَنِّ خَمْرٍ
وَأَقْصَى جَهْدِهِ جَسُّ النُّهُودِ
إِذَا مَاهَدَّتِ اللَّذَّاتُ مِنْهُ
وَقَرْقَرَ غَوْرُ بَطْنِهِ قَالَ زِيدِي!
مَتَى يَاقَوْمُ يَجْمَعُنَا طَرِيقٌ
وَيَطْلَعُ فِي رُبُوعِ الشَّرْقِ عِيدِي؟
فَتَجْرِفُهُمْ مَعَ ٱلْبِتْرُولِ نَارٌ
يُطَهِّرُ جَمْرُهَا دَنَسَ ٱلْجُلُودِ ؟
وَتُشْرِقُ أُمَّةٌ بِالْأَمْسِ شَعَّتْ
عَلَى الدُّنْيَا بِأَحْلَامِ ٱلْخُلُودِ ؟

جعفر ماجد

من رواد المسرحية العربية

بقلم : محمود تيمور

استهوى المسرح اليه ابان فجر النهضة الفنية غير قليل من الأدباء الذين برعوا فى الشعر او فى النثر ، سواء منهم من كان له المام بالفنون المسرحية ومن لم يكن له منها حظ ٠

ومن السابقين فى هذا المضمار الشيخ « محمد عبد المطلب » الشاعر الذى اتسم شعره بطابع البداوة ، فكان جاهلى الديباجة ، فخم اللفظ ، يستلهم صوره من أفق عربى قح ، وعمله الروائى المسرحى كان نقلا لصحائف من أمجاد التاريخ ، تتناول حياة « امرىء القيس » وحياة « المهلهل » ، وتمثل خصائص العروبة من كرم وشهامة وشجاعة وغيرة ، ولم تكن الحرفية المسرحية موفورة فيما بنى من عمله الروائى ، ولذلك نبا به المسرح ، واقتصر أثره على من استمتعوا به من القراء ٠

وثمة أديب شاعر ، طرق باب المسرح برواية له تصور جانبا من حياة الدولة العباسية فى شخصية الخليفة « الهادى » ، وذلك هو الشيخ « عبد الله عفيفى » ، وقد مثلها على المسرح « يوسف وهبى » وفرقته ، وكانت هذه المسرحية تستند فى جاذبيتها الى ذلك التطلع العربى الذى يتنسم الزهو والفخار من تلك الصفحات المطوية من عصور الاسلام ٠ ولا ريب فى ان خيال المؤلف لم يكن ذا جناحين يخفق بهما فى أجواء الخلق والابتكار ، فوقف عند الاحداث يجلوها فى فصاحة لفظ وبلاغة عبارة ، على أنه كان الى الفن المسرحى أقرب من محاولات سابقيه ٠

وقد أتيح لى أن أشهد مطالع أديب مثقف ، اتسع اطلاعه وعمق فى ادبنا العربى القديم ، وكذلك نهل من موارد الآداب الاجنبية حتى ارتوى ٠ وتوافرت له معرفة حسنة بالفن المسرحى ، وهو مع ذلك ذو موهبة قصصية لا تجحد ، وله قدرة على الابداع فى نظم الشعر تضارع قدرته الكتابية فى النثر ، وانه حين ينسج رواياته يتخذ له منوالا معلوما ، وهدفا مرسوما ٠ وما اخاله يجرى قلمه الا بعد أن تمتلىء نفسه دراسة ودراية بالموضوع الذى يتناوله ٠ ذلك هو « على أحمد باكثير » الذى اغتصب جوائز المسابقات الأدبية الحكومية اغتصابا مشهودا له بالجدارة والاعجاب ٠ واظهر ما يميزه نزعة العروبة ،

والتحمس لمشكلاتها السياسية ، فلقد طالما عالجها في أصالة وعى ولباقة عرض وقوة تأثير • وكثيرا ما اقتبس من التاريخ القومى صحائف مضيئة ، أضفى عليها جديدا من تحليل الأحداث ، واستبطان الشخصيات ، فى جو مشبع بالروح العاطفية مزدان بمفاتن الخيال • ومن أشهر اعماله القصصية « الحاكم بامر الله » و « مسمار جحا » و « فرعون المفقود » و « وا اسلاماه » و « سلامة القس » • وبعض هذه الاعمال تمثيليات ظهرت على المسرح والسينما ، وظفرت من النظارة باحتفاء كبير •

ومن الانصاف للأدب والفن معا ان نذكر الأديب الفنان القادر « بيرم التونسى » ، ذلك الذى هز المشاعر بروائعه المنظومة التى تناول فيها مشكلاتنا الاجتماعية ، وصور حياتنا الشعبية ، متخذا لغة الكلام الدارج • وان الكثير من أزجاله ومقطعاته ليعد قصصا فنية شائقة ، وقد اتجه الى التأليف المسرحى وضعا واقتباسا ، فنجح فى كلتا الخطتين ، ومن مسرحياته الموضوعة « عزيزة ويونس » و « مايسة » ، ومن المقتبسة « ليلة من ألف ليلة » ، و « مدام بترفلاى » •

ولا احسبنى أغلو اذا قلت بأن « بيرم » لم يكن ليجارى فيما اوتى من حذق ومن لطف ذوق ومن عذوبة روح فى التقاط الصور الشعبية الصميمة، وكان فى الحق فنانا خلاقا يجيد التصوير والتعبير • واذا كانت اللهجة التى كتب بها « بيرم » أدبه ـ تلك اللهجة العامية ـ لن يكتب لها الاستقرار ، ولن تبقى دلالاتها اللفظية وحيويتها المعنوية ، فان الأدب البيرمى سيدعو النقاد والمؤرخين فى عصر بعد عصر الى كشف اللثام عما حوى من مشاعر حية ، ومن صور طريفة ، ومن تعبير خلاب •

على ان الشعر المسرحى فى أدبنا العربى، لا ينسى لأمير الشعراء «شوقى» أنه هو الذى رصعه بفرائد تألقت وما زالت تتألق ، ولا احسب انها ستفقد ألقها على الزمان • وشخصية « شوقى » فى الحياة لا تقل طرافة عن شخصيته فى الأدب ، بل لعل معالم تلك الشخصية البشرية هى التى غذت مواهبه الفنية بغذاء قوى، وهى التى كان لها الأثر البعيد فيما قدم من روائع القصيد•

كان « شوقى » فى قصر الامارة مطوى الجوانح على خصائص ديمقراطية شعبية ، وكانت نظراته الاخلاقية وافكاره الاجتماعية ونزعاته الوطنية تمثل ازكى ما يختلج به ضمير الراى العربى العام من مشاعر ومثل ، وأبعد ما يتطلع اليه الوعى القومى من اهداف وأمان • وفى الحق ان « شوقى » كان حاضرا بجسده على كرسيه فى تلك المناصب السامية ، يتخذ لها رسومها وأوضاعها ، فأما اشواقه الروحية وحياته المعنوية فكانت خارج تلك الحدود والقيود ، تتنفس أنفاسها فيما يتغنى به من شعر ، وفيما يمرح فيه من انطلاقات فى قلب البيئات الشعبية العامة ، فمن شاء ان يشهده فى جوهره

الاصيل ، عارياً من زخرف المراسم ، وجده فى ندوات ومشارب يختلف اليها جمهرة الناس • هنالك يجلس محوطا بأخلاط من خلق الله ، فيهم ناشئة الأدب ، وفيهم من تتفاوت ثقافاتهم بين الحضيض والأوج ، وفيهم من لا يحسن الا ان يتظرف ويردد ما يشيع من نكات وأضاحيك وكان « شوقى » يحرص فى مجالسه تلك على الاستماع ، وقلما يشترك فى الحديث ، فما هو من المتحدثين الذين اوتوا ذلاقة اللسان وطلاقة البيان ، ولا أظن أنه القى يوما قصيدة له فى حفل ، وان زخرت المحافل بالمنشدين لقصائده يتخيرهم لها تخيرا ، بل يعدهم اعدادا • ومن طرائفه انه نظم قصيدة فى رثاء « أمين الرافعى » وجد فى البحث عمن ينشدها فى حفل التأبين ، فخانه التوفيق • والقيت القصائد فى الحفل دون المرثية الشوقية ، فلم يكن من « شوقى » الا ان دفع بقصيدته الى صحيفة يومية لتنشرها • وقد أضاف اليها هذين البيتين مخاطبا المرثى :

ان يفت فيك منبر الأمس شعرى
ان لى المنبر الذى لن يزولا
جل عن منشد سوى الدهر
يلقيه على الغابرين جيلا فجيلا

وجلساء « شوقى » كانوا يعرفون منه أنه كثيرا ما ينسرح عنهم بخواطره ، فاذا هو حاضر كغائب ، وكأنه فى اغفاءة • وبغتة تستيقظ يده لتمتد الى علبة اللفائف ، لا ليدخن منها لفافة ، بل ليكتب على ظهرها ما منحه الوحى المفاجىء من ابيات •

ولم يكن « شوقى » فخم الشخص ، بارز الهيئة ، فكان اذا سار وحده تخطته الاعين لا تباليه ، ومعظم امسياته كان يقضيها فى مقعد أمامى من دور الخيالة « السينما » ، يشهد ما يظهر عليها من روايات ، دون ان يعرفه أحد من الرواد ، الا فى الندرة •

وقد تملك « شوقى » ناصية لغتين : العربية والفرنسية ، وكان فى أدبهما مكينا ، فأما فى العربية فقد تعلم السرى ـ كما يقول ـ على كواكب من علماء « الازهر » وأدبائه• وأما فى الفرنسية فقد اكتسبها اثناء مقامه للدرس فى ربوع « باريس » وأغصان شبابه تميد • على أنه بدراسته وتنوع ثقافته وأخذه من كل من الأدبين العربى والاوربى بنصيب ، اكتسب طابعا خاصا ، وذوقا متميزا ، جعل منه شخصية أدبية مستقلة ، وان كانت أصولها وجذورها تستمد حيويتها من هنا ومن هنالك • وفى ذلك دليل على قوة تمثله وهضمه لما قرأ وما درس من أفانين الأدب ، ما شرق منه وما غرب ، فى قديم او حديث•

وقد لبث « شوقى » يتزود من الأدب ، منهوما لا يشبع ، فلم يكن يمل

الاطلاع او الاستماع لما يتلى عليه من روائع الأدباء والمفكرين ، وفيما يؤثر عنه أن « كامل كيلانى » أنهى اليه عزمه على نشر ديوان « ابن زيدون » ، و « شوقى » يومئذ فى شيخوخته ، قد قارب أن يرد منهل منيته ، فلم يصبر على الديوان حتى يطبع كله ، ورغب الى « كامل كيلانى » فى ان يعجل اليه ما يطبع من الديوان أولا فأولا ، فكان يبعث اليه بالكراسة تلو الكراسة ، بعد الفراغ من طبعها على الفور ، وهكذا تابع « شوقى » قراءة ديوان رصيفه « ابن زيدون » قبل ان يجتمع شعره فى كتاب مطبوع تام • وظفر الديوان من « شوقى » بتلك القصيدة التى صدره بها ، ومطلعها :

يا « ابن زيدون » مرحبا
قد أطلت التغيبا

وفى هذا البيت يتمثل حنين الشاعر الى الشاعر ، ولقاء الأديب للأديب ، بعد الغربة والمغيب •

واذا كان « شوقى » قد احتفظ فى قصائده ومطولاته بأوضاع الشعر العربى التقليدى ، من وحدة الوزن ، ووحدة القافية ، ووحدة البيت ، فان وحدة الموضوع أو وحدة الفكرة فى قصيده اوفى منها فى قصيد من سبقه من فحول الشعراء • فمن تجديده فى الشعر العربى أن قصيدته كانت تخضع لهندسة ذهنية تستمد أصباغها وأضواءها من مخيلة متفننة قادرة ، والموضوع فى معظم قصائده متواصل الأطراف ، متماسك الاوصال ، متكامل الصور ، معانيه يأنس بعضها ببعض ، وأفكاره يتوضح فيها التركيز والتجسيد ، وكأن كل قصيدة ذات خطة مرسومة فى دقة واحكام •

وقد حلا لبعض النقاد أن يقرنوا « شوقى » بـ « المتنبى » ، وبينهما من أبعاد الزمن ألف من السنين ، وليس « المتنبى » بحاجة الى من يزكيه أو من ينصفه ، فقد فسح له التاريخ الأدبى فى رحابه ، وطبع أدبه بخاتم الخلود • ولكن « شوقى » فى الحق لم يكن كـ « المتنبى » مقصور الحكمة والوصف على ما يعرض خلال القصائد التى تضمنت تلك الاغراض التقليدية المحصورة فى مدح او غزل او حماسة او رثاء ، ولم يكن مثله محدود الصلة فى عصره بولاة الحكم وأمراء الحروب ، يدور حول أحداثهم وشخصياتهم وحيه وخياله • وانما كان « شوقى » فى الجملة قلب وطنه الخافق ، ولسان أمته الناطق ، اذ استجاب أيما استجابة لكل ما اعتلج فى حياتنا الوطنية والسياسية والاجتماعية من مشاعر واشواق ورغاب ، وكان شعره يمثل أصفى ما فى مجتمعنا العربى من وعى جديد ، وأروع ما انبثقت عنه النهضة الحديثة من نزعات واتجاهات وهتفات • وهو القائل :

كان شعري الغناء في فرح
الشرق وكان العزاء في أحزانه

لم يدع « شوقي » جانبا من جوانب القول في الوصف والتعبير والاستيحاء الا كان له فيه مجال · هو الذي أشاد بالقواعد الاخلاقية النبيلة ، والمبادىء الاجتماعية الرشيدة ، في أبيات مشرقة سارت مسير الأمثال ، وهو الذي بشر بالمذاهب العصرية في تحرير العقول وتطوير الحياة والأخذ بأسباب الرقي والنهوض · وهو الذي استلهم حكمة التاريخ ومجد الحضارة فيما خلفه لنا الاسلاف من تراث فكري وفني وعمراني · وهو الذي تغنى بعظمة الشرق ووشائج العروبة وهدى الدين · وهو الذي نظر الى مفاتن الطبيعة من نهر وجبل وروض نظرة فنان أصيل ، فوصفها وانطقها بأسرارها في روعة وافتنان · وهو الذي عبر في شعره كله عن فلسفة حيوية واقعية عصرية تساير التطور ، وتدامج الحياة ، ولا تقنع بالتأمل النظري المجرد ، الضارب في أودية الأوهام ·

وليس أدل على ان « شوقي » كان قوى الوعي بحاجة الأدب الى التنمية والتطوير ، من أنه القى على نفسه ، وقد علت به السن ، تبعة جسيمة ، هي أن يضع بزرة جديدة في حقل الشعر العربي ، ينقله بها من نطاق القصائد والمقطعات وما اليها من الأوضاع التقليدية السائدة ، الى ميدان رحيب ، وأفق عريض ، وما كان للشعر العربي بذلك عهد من قبل ·

وجد « شوقي » مكان المسرحية في الشعر العربي خاليا ، فأرسى فيه تلك الدعائم الوطيدة من مسرحياته : « مصرع كليوبترة و « مجنون ليلى » و « قمبيز » و « عنترة » و « علي بك الكبير » ··· واذا كان «الهمذاني» قد أنشأ في الأدب العربي القديم فن « المقامات » ، وكان الأديب المجهول قد صنف « ألف ليلة وليلة » ، فان « شوقي » هو الذي وضع قواعد الشعر المسرحي في ذلك الأدب العربي · وبذلك أثبت قدرة الشعر العربي على بناء المسرحية نظما ، وكذلك أثبت استعداد رواد المسرح من جمهور النظارة للاستماع الى شعر عربي صميم ، مع الاستمتاع بما يصور من مشاهد التمثيل·

ويبدو أن « شوقي » كان منذ نشأته يهفو الى التأليف القصصي والمسرحي فقد ظهرت له أعمال تتصل بالناحية القصصية موضوعة ومترجمة ، حتى انه وهو في « باريس » يدرس ، الف بالشعر العامي المعروف بـ « الزجل » مسرحيته « علي بك الكبير » التي حولها فيما بعد الى مسرحية بالشعر الفصيح·

والمسرحيات الشوقية تستمد موضوعاتها من التاريخ ، ولكن شاعرنا كان يجعل من مواقفها ومن احداثها تبشيرا وتزكية للنزعات الوطنية والمبادىء التحريرية والافكار العصرية ، ولطالما تغنى فيها بما للشعب العربى من مفاخر، وما فيه من خصائص ، وما أسهم به فى موكب الحضارة الانسانية من جهود ٠

اما مسرحيات « شوقى » فى ميزان النقد الفنى ، فليس مما يغض منها الاقرار بأن نصيب الشاعرية فيها أقوى من نصيب الحرفية فى التأليف المسرحى ٠ ولعل مسرحية « مجنون ليلى » هى الأوفى نجاحا وتوفيقا ، وسر ذلك أن قصة « المجنون » فى توقد عواطفها وحيوية موضوعها أمدته بما استجابت له شاعريته الى غاية بعيدة ٠ ومما عرف عن « شوقى » فى تأليفه لمسرحياته أنه كان يدير الموضوع فى رأسه بصورة شاملة ، ويتمثل المواقف منفصلا بعضها عن بعض ، ويعكف على كل موقف فينظم ما يصوره به ، ثم يجمع هذا الشتات ، ويربط بين اوصاله بما يتيسر له ٠ وهذا المنهج غير مأمون فى الوفاء بالوحدة والتسلسل فى البناء المسرحى الفنى ٠

ولم يمض زمن طويل بعد « شوقى » حتى بزغ فى الأفق نجم جديد ، أصبح له فى تأصيل الأدب المسرحى الشعرى باع مديد ، ذلك هو « عزيز أباظة » الذى دأب خلال عشرين عاما على رعاية نبتة القصة الشعرية التى وضع « شوقى » غراسها ، فزكت على يديه ، وازدهرت أى ازدهار ، وتهيأت لمسايرة الركب العالمى للأدب الانسانى ٠ وهو بذلك قد أعان على سد تلك الثغرة التى كانت ملحوظة فى ادبنا العربى ، وبذل جهودا تعد مرحلة انتقالية وخطوة ضرورية لكى يتسنى للشعر العربى أن يعتلى منصة المسرح فى كيان فنى رفيع ٠

وهذه المسرحيات الشعرية التى أخرجها « عزيز أباظة » نماذج فنية ممتازة فى ادبنا العربى المعاصر ، واطارها الفنى مع ذلك يدل على خبرة بمطالب التأليف المسرحى ، ويكشف عن بصارة ورهافة احساس بما تنطوى عليه الاحداث والوقائع من قيم اجتماعية ومثل انسانية ٠

وجملة هذه المسرحيات مثل « قيس ولبنى » و « العباسة » و « الناصر » و « شجرة الدر » و « قافلة النور » تستلهم أمجاد الحضارة العربية وأحداث تاريخها الجسام ، وتتجه فى روحها وفلسفتها وجهة التعبير عن القومية العربية بما لها من وشائج تصل بين العرب فى كل مكان ، وتذكى فى نفوسهم ما لهم من شخصية مستقلة بقوامها على تعاقب الزمان ٠ وبهذا سجل شاعر المسرحية

الكبير استجابته لأسمى ما اعتلج فى جوانب المجتمع العربى من مشاعر واهداف ٠

و « عزيز أباظة » جدير ان نلقبه فىالشعراء بـ « النابغة »، لأنه نبغ بينهم كما تنبغ عين الماء جارية بالعذب الفرات ٠ فاجأ معاصريه بشعره ، وقد قارب الأربعين أو جاوزها بقليل ، فاذا هو شعر فخم جزل أصيل ، لا تعوزه مراحل الدربة والتجريب ، وما أسرع ان لمع اسمه ، وسطع نجمه ، وسبق الى الصف الاول من شعراء عصره ، متخطيا من كانوا يطالعون الناس بأشعارهم قبله سنين ٠

وهو رجل بائن الطول، رائع السمت ، رومانسى المنزع، يهيم فى آفاق الخيال مدفوعا بعاطفة جياشة ٠ وعلى ما ترى من رقة حاشيته ، وسماحة خلقه ، واتصافه بشمائل الرجل الكيس « الجنتلمان » ، لا يتمالك فى بعض الاحيان ان يبدو حاد المزاج ، وأكثر ما يكون ذلك منه اذا عورض فيما يعتقد ، لما فيه من صلابة رأى ، وصراحة نفس ٠

واذا كان « شوقى » فى مسرحياته المنظومة قد غلبت عنده روعة الشاعرية على حرفية التأليف المسرحى ، فان « عزيز أباظة » فيما وضع من المسرحيات أوفى توفيقا فى جانب الحرفية ، وان كان شعره فى الفصاحة والجودة من الطراز الاول ٠

* وأدب المسرح فى عصرنا المشهود مدين بوثبة له جديدة فى منحى فنى عصرى ، هى وثبة « توفيق الحكيم » الذى جمع بين التأليف المسرحى ، والتأليف القصصى ، بطائفة من المسرحيات والقصص تصعد به الى القمة بين رواد الأدب العصرى ٠

و « توفيق الحكيم » أديب مفكر ، ألمعى الذهن ، له نظرات فلسفية استفادها من دراسته، وأمدها بمواهب من الفهم والذكاء ، وله قدرة فائقة على استخلاص النتائج والاحكام فى المشكلات الاجتماعية والقضايا الفكرية ، ولعل ثقافته القانونية والقضائية فى امتزاجها بثقافته الادبية والفنية هى التى جعلته يحسن الفصل بين الخيال والواقع فى عمله القصصى ، فهو يعمل خياله الواسع المجنح حين يبتكر كيان القصة ويدبر مواقفها ويرسم أحداثها ويخلق شخصياتها ، ولكنه يعمل الفكر والمنطق ويجانب الغلو والشطط فى الحركة والتحليل والحوار ٠ ولذلك شاعت فى أعماله القصصية روح الحكمة التى تشيع فيما نعرف من العبر والامثال ، « فللحكيم » من اسمه بحق أكبر نصيب ٠

وهو أستاذ الحوار المسرحي غير منازع ، ولو ان ناقدا فنيا أراد أن يلقى درسا فى خصائص الحوار الماهر الناجح الدقيق ، وابتغى الاستشهاد على هذه الخصائص بامثلة من عمل أديب فنان، لوجد بغيته على أتمها فيما أدار « الحكيم » بين دفاف مسرحياته من أحاديث على ألسنة شخصيات تختلف بهم المنازع والمواقف ، وتتفاوت بينهم المنازل والاقدار.

وقد استطاع « توفيق الحكيم » أن يتغلب على عقبة طالما وقفت فى طريق الطامحين الى الكتابة فى القصص المسرحي ، تلك هى أن القراء لا يقبلون على قراءة المسرحيات اقبالهم على شهود تمثيلها ، ولكن « الحكيم » فرض على القارئين فى عصرنا الحديث ما كتبه من مسرحيات ، فهم يتهافتون عليها حين ينشرها فى الصحف ، ثم يتهافتون عليها حين يجمعها فى كتب ، وقد ظهرت له مؤلفات كثيرة منها «أهل الكهف» و «شهرزاد» و «ايزيس» و « الصفقة » وأخيرا طبعت له مجموعتان من التمثيليات القصار، احداهما «مسرح المجتمع» والاخرى « المسرح المنوع » وكلتاهما فى مجلد ضخم .

ولو رأيت « الحكيم » فى مجلس لرأيته صامتا متكمشا منزويا تتراءى عليه الوداعة والطيبة والسكينة ، ولكن تهزك منه عينان نفاذتان ، كأنهما لصقر ، وهو يدور بهما فى خلسة ومسارقة ، كأنما يتصيد بهما ما خفى وراء الظواهر والأستار . فان أتيح لك أن تراه وقد أثاره موضوع ، أو جاذبه الحديث جليس ، راعتك منه انتفاضة عارمة ، تسفر عن جلاء فكرة ، او تأييد رأى . هنالك تظهر ذلاقة لسانه ، وما اختزن من دقائق العلم بكل ما يتصل بالآداب والفنون من قريب او بعيد . فلا تلبث ان تطمئن الى أنك حيال ذلك الكاتب الأديب الذى اكبرته من قبل ، وشهدت له فيما يكتب بالأصالة والاقتدار .

محمود تيمور

أنـا والفيلسوف

شعـر : شريفة فتحي

الفيلسوف يتغنى ـ لاح الهـلال فهش قلبى وابتهـل
وتبسم الليـل المقطب واستهـل
لاح الهلال كبسمة البشرى وهل؟
مثل الهلال سنا اذا فى الافق هل ؟

أنـا يا هائما ترعى الهـلال على أمـل
كم من هـلال صار بدرا واكتمل
وأنا هنا أرعى النجـوم ولا أمـل
أسبر معى غـور السماء على مهل
وابحث بأجواز المشارق عن مهـل
سل نجم حظى هل تألق أم أفـل ؟
ماذا ترى فى الغيب قديسى الجبل؟

الفيلسوف ـ اسبح معى بين الغيوب ولا تسل
فأنـا أهيم مع الهـوى منذ الازل
وأدور فى فلك الجمال ولـم أزل
أطوى حياتى فى الوجود على عجل
أجرى ولا أدرى متى يأتى الاجل ؟
المـوت يرهبنى ويملؤنى وجـل
ولمتعـة الدنيـا انـا اهفو أجـل
لكننى أسعـى الى هـدف أجـل

أنـا — قـديسنـا ـ عنـدى سـؤال
الفيلسوف — قـال سـل
أنـا — ما الحب٠٠صفه أو فشبه لى مثل؟
قل لى وما يجدى اذا فى القلب حل ؟
هل للهوى ربط وهل للحب حـل ؟
كم راح يسأل فى الهوى عقلى فعل
والحب فى قلب الاحبـة كم فعـل
فأتيتأسأل ـ قلتقد أشفىفعل؟!

الفيلسوف — الحب سر للحيـاة بـلا جـدل
ولسوف يبقى كنهه من غير حـل
هو علقـم مـر وحلـو كـالعسل
فى الوصف ليس له شبيه او مثل
فلكم اعـز من القلـوب وكـم أذل
ولكم سبى ولكم هـدى ولكم أضل
ولكم صفا ولكم وفـا ولكم وصل
ولكم جفـا ولكم قسا ولكم عـذل
هو جنة الفردوس ان يـوما بـذل
وهـو الجحيم اذا تنكـر أو خـذل
فى ظلمـه عـدل وظلم ان عـدل
يردى ويقتل ثـم يحيى من قتـل !

شريفة فتحى

ربيـــع وأطيـــاف ٠٠

بقلم : البشير المجـذوب

انا فى نافذتى المظلمة٠ أصغى ، أتشرب ملء نفسى وشوشة الصمت ٠٠٠ أتغزل بالليل ، أدس رأسى فى شعر الليل ٠ وجهى يضل ، عيناى تضلان فى ثنايـا شعوره المرسلة الغزيرة ٠ أتشمم عطره ٠ أغسل مآقى بنـداه ٠ لقد سكرت بالليــل ٠

ليلة ربيع ٠ هذا ربيع لا كما عرفنا ٠ صفت أحداق الليل فيه وتألقت ٠ ليلة ربيع تفغم بالآمال ٠ نقلك فيها زهر البرتقال ٠ بشرتها سناء وعبير ٠ أما ترى الآمال تتطاير تتلاعب فى السماء ! شهب رنحها السكر واستهواها الـرقص ٠

أثـواب عرائس هذه التى أمامى أم زهر فائح ؟٠٠ أشجار حفلت بالزينة زفت لميلاد أمة ٠٠ لميلاد دولة ٠٠ لميلاد قوة ٠

هذه الاشجار السامقة لا ترى الا رؤوسها الضخمة قائمة فى السماء ٠٠ أهى باقات ، حزم ألقيت فى حقل الليل ؟!

ليلة ربيع ٠ ما أبهى الربيع يرفعك الى قمة نفسك ومنتهاك ٠ فاذا الحياة فيك قوة عارمة ، سكرة أبلغ من الرشد ، وأصفى من اليقين ٠ واذا هى رغم تفاهة القش عند اقدامها وسماجة الهشيم ، رغم كيد أعدائها القاهرين شىء عجيب تسيغه وتعبه عبا ولا ترى له ثمنا ضدا ٠ كأنك الشجرة السنديانة تنتشى بالنسغ يصعد فيها ، يملأ شرايينها ، ويفتق بشرتها الجافة الغبراء ، براعم براعم خضرا ، يقشعر لهـا جسمك ٠ كدغدغة الحب يغمرك يبهـرك فتضيق عن فيضه وجوده ٠ واذا الموت من أجلها فى مثل سحرها وبهائهـا النهـاية الكفء والخـاتمة الأنسب ٠ واذا أنت تعجب مـن الشك والضعف واليأس كيف سكن كل ذلك نفوس جماعات من البشر مدى الاحقاب ٠ كيف أمكن هذا والحياة تطرق باب قلبك عند يقظتك الحق ، فى حلمك النير البصير وتهيب بالدم فيك أنك حر ! حر ! أما علمت ؟ انك حر الى الأبد ٠

هذه الليلة قد جن فيها القلب بالشعر ! اعتناق الطبيعة والوجود ٠ ضرب من الشعر غريب ٠ مزيج حب واباء ٠ فيه فحولة ورواء ٠ سكرة الذات حتى

الظما • الشعر ! نعم • روعة الوجود وقد بلغ الذروة • بركان نـور تدفق ضمن النفس ، هذا العالم الصغير الصغير المدهش •

هذه الطبيعة •• كيف ننعتها •• قوة جاذبية وعظمة سلطان •• قربـا ، أشد القرب من نفوسنا • حتى الشغاف ، حتى النبض ، حتى الرفة • مكان الوريد منك •

ما الشرف والعزة ، وماهناء الضمير والحرمة ساعة المـوت ان لم يكن فى كل ذلك طعم الشعر ونكهته •• سر الحياة وناموس الوجود •

وانى لأسمع صوت المقاتلين الفتيان عند فجر المعـركة ، فى عتمـة الغيب الكبير ينشد •• همسة خاطر ، بارقة فكر ، وآية صلاة :

« الهنا ! آمنحنا ميتة نلتذ طعمها خمرا مزة • قربانا نطعمه أرضنا الظمأى• سنفونية كئيبة عذبة • كروعة وداع الأحبة • كمرارة فراق من نهـوى • أن ترى نفسك تتلاشى وتذوب فتقر وترضى •

رباه ! ميتة بينها وبين الحياة رحم واشجة • كبرزخ ما بين الحلم واليقظة • فيها شىء من سحر ألوان الغروب • من خضاب الموج عند الشفق • أن تفارق الحياة بدمعة واحـدة لا أكثر • دمعة سخية تترقرق ، لعا من السراب عـابرا يشيع النفس الأخير • تباركت ، تباركت الحياة ! »

الليلة ليلة ربيع • ربيع لا كما عرفنا • انه ميلاد بشرى • انه ميلاد أمة • انه صفحة مغربنا الحبيب •

البشير المجـدوب

سمـــــــو

شعر نور الدين صمود

لمحت بعينيكِ معنـى الحَنَـانِ
ونُـورَ الهَنـاء وصَفْـوَ الأَمَـلْ
وَلَاحَ ٱبْتسَامُـكِ مثـلَ الربيـعِ
فأوحى لِروحِـي مَعَـانِي الغَـزَلْ

* * *

وأشرَقَ فيِ خَـاطِرِي عَـالَـمٌ
كما يَسْطَعُ النورُ عند الشُّروق
وحَـامَ المـلائكُ فـي جَـوِّهِ
كَسِرْبِ فـرَاشٍ بِصُبـحٍ فَتِيـق

* * *

سَأُحْيِيكِ فيِ خاطرِي فِكْرَةً ...
تَمَثَّـلُ فيهـا مَجَـالي الفِتَـنْ
وَلـو شاء هـذا الخَيَـال الطليق
لَأَصبَحْتِ فـوق حُـدودِ الزَّمَـنْ

نور الدين صمود

حيـــــاة

قصة بقلم : محمد رشاد الحمزاوى

مضى من الليل ثلثاه فخرجت من المستشفى منهوك القوى . فتركت زملاء ممرضين مهتمين بالموتى والجرحى والمرضى الذين طفحت بهم بيوت المستشفى ومداخله . كانت شوارع مدينة بنزرت مظلمة مخيفة . لقد خلت من كل شيء حتى من الريح وخيم عليها سكون ثقيل ممل . فخيل الى انه المسافر الوحيد الذى فاز بحرية التجول فى المدينة . فشعرت احيانا انى كنت اسمعه يمشى ويتنفس ثم يقف فيتأمل ويستغرب من المدينة ومن الناس ومن الطبيعة . فلقد كانت الاشجار قائمة سوداء وكان كثير من جدران المنازل والدكاكين حجارة مبعثرة قد لوثها الدم واختلطت بالغبار والماء العفن فاصبحت اكداسا مختلفة مريعة . اما الارض فلقد تشققت وكثرت حفرها . فأطلت النظر اليها وفكرت لاول مرة فى ارضنا المبسوطة الممدودة وتساءلت ان كان للناس فى الارض مفر فاين مفر الارض فى الارض ؟ واين مفرنا ان فرت الارض ؟ اصابتنى حسرة على مدينتنا واهلها وارضها ومنازلها . فيا حبذا تلك الليالى التى كنت اتجول فيها فى مدينتنا التى خلقت لتعرض حسنها ليلا !

أسرعت فى مشيتى وركبت معطفى الابيض حتى تظهر عليه علامة الهلال الاحمر التونسى وذلك اتقاء شر المظليين الذين احتلوا قسم بنزرت العصرى . لقد سمح لامثالى ان نتجول فى الليل عندما تدعو الضرورة الى ذلك . فكنا معرضين للخطر فى كل لحظة لكنى كنت ابذل الجهد لتجنب كل مصيبة . عرضت هلالى على صدرى حتى يبدو واضحا ثم مسكت هويتى . اكثرت من ضجيج قدمى حتى لا يغدرنى غادر . مررت بفرقتين من الجنود فنظر الى الحارس نظرة حادة لكنه لم يخاطبنى . فخلت الى الشوارع فلم ار الا الظلام يجرى امامى ويسد على كل مخرج . فشبه الى ان الحرب ليلة سوداء ضاع فيها الانسان واختفت فيها الدنيا . توجهت الى منزلى فى القسم المحتل من المدينة وعلى مقربة من بطحاء بوشوشة ومقهى البلور اللتين كنت اطل عليهما من شباكى .

مشيت عازما مفكرا فى لذة النوم لكنى ماكدت اندمج فى الشارع المقابل لشارع بيتى حتى خيل الى انى سمعت انسانا يمشى ورائى . فتباطأت فى مشيتى ثم نظرت ورائى متحذرا . فلم ار شيئا سوى الظلام يملأ الشارع . خفت متوقعا وجود شخص يريد متاعى . تقدمت متصنعا الثبات ثم وقفت فجاة والقيت نظرة خلفى فرايت خيالا اسود يغيب فى الظلام . ركضت خائفا

فدخلت منزلى وسعيت فى تذكر ملامح الخيال لكنى لم ادرك منه الا صورة غامضة لا تفيد • صعدت المدرج مسرعا ونظرت من شباكى الى الشارع • فرايت جنود الجيش التونسى وراء اكياس رملهم وفوق السطوح يراقبون جيش العدو • فكانت تفصلهم عنه شبكة طويلة هائلة من الاسلاك الشائكة • تعلقت بها فبدت لى متشعبة سوداء قد سلطت عليها انوار خافتة • تركت عينى تداعبانها وتتبعانها الى الجهة الاخرى من الشارع • قادتنى وقحة متباطئة مزعجة • وما كادت عيناى تبلغان نهايتها حتى ارتعشت ارتعاشا • لقد رأيت الشبح الاسود واقفا فى آخرها • اقتربت من النافذة وامعنت النظر فلم ادرك شكله تماما • نظرت ثانية فخيل الى انى رايت امرأة ملفوفة فى حجاب أسود • فتحت شباكى وبحثت عنها فصعب على وجودها لكنى فزت بها بعد دقائق • لقد كان الشبح يمشى ويقف • تقدم من النور فظهر جليا ثم دخل الظلام فذاب فيه واصبح جزءا منه • رايته يعود الى النور فاستحسنت ظهوره ثانية رغم خوفى عليه • فرايت امراة ملفوفة فى حجاب اسود • واستنتجت انها عجوز عرجاء لان مشيتها كانت ثقيلة وكانت تجر رجلها اليمنى جرا • فاستغربت من ذلك • فما تفعل عجوز عرجاء فى الليل قرب الاسلاك الشائكة ؟ ألا تخاف على نفسها؟ والله لا تفعل ذلك الا مجنونة ؟ تاخرت قليلا وفتحت فمى واسعا لانهرها حتى تعود عن غيها • لم اتمكن من ذلك لانى رايتها تنحنى على الاسلاك الشائكة فتربطها بحبل وتدخل فى الظلام قليلا ثم تنفض الاسلاك كانها تريد ان تدرك مقدار قوتها ومقاومتها • اصاب الاسلاك اهتزاز تحول الى اهتزازات متوالية كان كبرها يزداد كلما اقتربت من منزلى ، فرايت الاسلاك تزحف نحوى هائلة قد برزت انيابها فى الضوء وتلاطمت فتضخم ضجيجها وتسارعت فى زحفها • قفزت نحو الشباك فغلقته ووقفت الى جانب الحائط مترقبا وصول الآفة الى • سمعتها تصدم حائط منزلى عنيفة ثم عقبتها طلقات رشاش ثم سكون •

قصدت فراشى مسرعا جبانا • أصابنى أرق فاتانى بصور مزعجة منها صورة ميت عجوز • كانت عيناه مفتوحتين تنظران الى كل شىء وكانت يده اليمنى موضوعة على راسه ويساره مطلوقة مثل العصا • قادتنى صورته الى هرع الناس عندما اطلقت الطائرات شرر نيرانها علينا • فكان منهم من ظل هاويا فارغا قد نام نوم الابد ، ومنهم من هلع وارتاع ففر من النار ثم عاد اليها ، ومنهم من كان يزحف بطيئا يتخبط فى دمه وغشوة عقله وقلة امله • فبدا لى الحق يجرى وينادى ويتخبط ثم يخر مخنوقا مشلولا • والغريب فى الفظائع انها لن تصل كاملة الى عقول الغائبين عنها • فهم دائما متسامحون ولو كانوا من لحمنا ودمنا • فالموضوعية متواضعة والحقيقة معتدلة • عدت الى التفكير فى عجوزى العرجاء فلم افهم قضيتها • لعلها ستلاحقنى فى الليلة القابلة ؟ الا يحسن بى ان اخذ سكينا لحماية نفسى ؟ لكن ما عسى ان تكون حيلتى لو فتشنى جنود المظلات فوجدونى مسلحا ؟ اقبل على النوم دون ان اجد حلا

للقضية . ظننتها قد حلت من تلقاء نفسها لاني عدت مرتين ليلا الى بيتي فلم ار اثرا لعجوزتي العرجاء . نسيت الامر وحسبته حدثا عرضيا لا قيمة له .

كانت الليلة باردة سوداء نزلت فيها امطار كثيرة علي بنزرت . فاكفهر الجو وازدادت وحشة المدينة . كنت امشي مسرعا فاندمجت في شارع مظلم ضيق بالمدينة العصرية كي اوجز طريقي . فما كدت ابلغ نصف الشارع حتى رايت العجوز العرجاء واقفة تترقبني في آخره . نظرت اليها قليلا ثم درت واطلقت رجلي للريح . لم اجر بضع امتار حتى رايتها تطل علي من ناحية الشارع الاخرى . انهزمت وعدت من حيث هربت لكني هدات واختفيت وراء سارية وترقبت . مرت دقائق لم ار ولم أسمع فيها شيئا . اردت ان اخرج لاهرب لكني وقفت لاني سمعت صوتا واضحا يناديني :

ـ الله يهديك ياسي ابراهيم ! اتركني اقرب منك . انت دائما خائف هارب كالطفل

ـ لا ، لا ، من انت ؟ انا لا اعرفك . ظلي في مكانك .

ـ لا تخف ، فلن آكلك ! اتخاف من امرأة ياسي ابراهيم ؟ تبارك الله ! عضلاتك مفتولة ، قوية وانت شاب شجاع .

ـ من يضمن لي انك امرأة ؟ ومالك تتصرفين هذا التصرف ؟

ثم اضفت مهددا

ـ اتركيني والا ساصيح

فضحكت ضحكة فيها اخلاص وتهكم

ـ ان صحت فاننا سنهلك معا لان جنود المظلات عمي وخاصة في الليل . انهم يطلقون النار حتى على ظل السحب . انا كنت مجبورة على تتبعك لاني لم اقدر على الاقتراب منك .

فخضعت لحجتها

ـ لكن اينك يا ... ؟ كيف تعرفين اسمي ؟

ـ انا اعرفك وانت تعرفني ايضا . نحن في حاجة الى مساعدتك . اتبعني ولا تخف . هيا . هيا . ها انا امشي امامك .

ترددت لكني تقدمت مرغما فرايتها تمشي امامي متباطئة تجر رجلها جرا . فكانت تحف بالجدران فتغيب عني احيانا فاضطر الى ندائها فتظهر وتشير الى باتباعها . مشيت تقريبا نصف ساعة عائدا على اعقابي حتى بلغنا مستودعا تخيلته في منطقة المستشفى . دفعت بابه الثقيل فاتبعتها ثم فتحت بابا آخر واندمجت في مدرج سفلي فيه نور . خفت على نفسي فاردت ان أهرب . لكنها

نادتنی فلم أستمع اليها وصممت عـلى الخروج فاذا بيد تقبض على • التفت فرايت شابة حسناء سمراء سوداء الشعر باسمة الثغر •

ـ ياسی ابراهيم ! ركضت وراءك ليالى حتى كدت افنى ، والآن تريد ان تهرب • عيب ! عيب !

ـ لكن من انت ؟ اين العجوز السوداء ؟

ـ انـا هى ••••

ـ انت ••! انـ ! انت ••! ابدا ! مع السلامة •

فتعلقت بى

ـ يا سى ابراهيم نحن فىحاجة اليك• نحن فى حاجة ملحة الى مساعدتك•

ـ الى اين تريدين ان اذهب معك ؟

ـ الى الاسفل • الى غرفة الشغل ؟

ـ شغل ماذا ؟ من يوجد بالغرفة ؟ هل انت وحدك ؟

فلم تجبنى ومدت الى يدا لطيفة متوسلة ثم ابتسمت الى ابتسامة مشرقة فيها صداقة وغرور واغراء •

تبعتها فدخلنا بيتا كبيرا قليل الاثاث • فجلست على كرسى كبير وظلت واقفة بجانبى • ارادت ان تحدثنى فقاطعتها حانقا متحديا

ـ من انت وماذا تريدين منى ؟ كيف تعرفين اسمى يا سيدة •••؟

ـ نسيتنى يا ابراهيم ! تذكر قليلا ؟ انظر الى •

تذكرت فجأة ان فجـور النساء يزدهـر فى الحـروب والمصائب فتصبحن خطيرات على الوطن •

ـ ولكنى ما عرفتك بتاتا • هل تريدين مالى ••• فانا لست غنيا •

ونظرت الى باب غرفة مجاورة خاشيا وجود لصوص فيها • لمت نفسى على ترك عنانها لحجج هذه الشابة •

ـ ان خروجك على الموضوع لا يهم • فانا لست بنت هوى ولا لصة • انا اختك • فالمهم مساعدتك لنا ان امكن ذلك •

فتجاهلت كلامها ممتعضا لانى شعرت انها تتحدانى • فهى تعـرف اسمى وتخفى عنى اسمها وتطلب منى مساعدة لست اعلم فحواها • فلا شك انهـا تريد ان تتهكم على وتقودنى الى هاوية لم اكن مستعدا للوقوع فيها لا سيما فى هذه الايام • فنظرت اليها والى لباسها راجيا الفوز بشىء يذكرنى اياهـا • فبدت لى متوسطة القامة ، هيفاء ناهدة قـد ضم جسمها لباس ازرق بسيط ممتع • ظلت واقفة امامى صابرة هادئة تترقب عودتى الى موضوع مساعدتها • فلم تنزعج ولم تتحرك عندما وجهت الى تفاصيل جسمها نظرة وقحة• تعلقت

عينـاى بشعرهـا المتجعد الدجوجي وبعينيهـا الخضراوين الباسمتين . ازداد شخصها غموضا فجمعت كل ما لدى من قـوة الحجة والحيلة وقررت الفـوز بسرها سواء كان هدفها مخلصا او كاذبا . أمرتهـا

ـ تحولى واستقيمى امامى حتى اعرف من انت . لابد ان اعرف من انت .

ترددت وتجعد جبينها ثم جرت رجلها العرجاء ووقفت امامى راضية مرضية ونظرت الى وفى عينيها صفاء وصدق . فازداد وسواسى . اردت ان استفزها لاقضى على صدق مظهرها فاتمكن من معرفة حقيقتها . استعملت ما اكتسبته من خبرة عن حساسية النساء .

ـ متى اصبحت النساء العرج مثلك تسخرن بالرجال ؟ ما سنك ؟ ومالى اراك لا تحسنين لباسك ؟

صفعها كلامى صفعا فتحرجت لكنها ظلت هادئة

ـ هذا كله لا يهم يا سى ابراهيم ... نحن فى بنزرت ياسى ابراهيم .

ـ لكن بنزرت لا تمنعك من ذكر اسمك ؟ السيدة تعلمنى الوطنية !

ـ كلامك معقول ... انى ادعى حياة . فهل لك سؤال آخر قبل ان ندخل فى جوهر الموضوع . انى الآن اترقب جوابك . انا متأخرة .

نظرت اليها مليا واستعرضت وجوه من عرفت من الفتيات والنساء . فلم اذكر هذا الاسم . استغربت من مرونتها ومن هدوئها فاعتقدت انها تتسامح وتتساهل لتنال منى ما تريد . فسالتها

ـ لكن ما هى المساعدة المطلوبة .؟

ـ الاسلاك الشائكة . نحن نريد رفعها. اعنى الاسلاك القريبة منمنزلك .

ـ من تعنين بنحن ؟ كلامك كلام مجنونة .

ـ اعنى انت وانا واخوان آخرون ذهبوا معى منذ ثلاث ليال فنفضوا معى الاسلاك لادراك قوتها ومقاومتها . انها ليست صعبة المنال نريد ان نرفعهـا ليلـة 19 اوت .

ـ لكن كيف ذلك ؟ هذا جنون . انت امراة . اليس الاحسن ان تعودى الى منـزلك .

ـ هذه الاسلاك قد قسمت قلوبنا . فهى وامثالها فى العالم حاجز بين الاخوان والشعوب . لقد نقلوا الينا اسلاك الجزائر .

ابتسمت مشفقا على غضبها وتحمسها لانى ظننت ان الانسان الشاعر بقوة غيره انسان كافر بكل قفزة ونهضة • بادرتنى مستفزة اياى •

ـ يظهر ان قلبك قد مات • لقد مات املك وحماسك اللذان عرفتهما فيك• اهى السن التى غدرت بك ؟

فصحت

ـ انا ما عرفتك ولا انت عرفت املى وحماسى • انت تريدين الهجوم على المظليين بالمظاهرات السلمية والاناشيد القومية وعينيك الخضراوين • كفانا امواتا • هؤلاء حطمونا •

ـ حطمونا فلهم ذلك • فالغلبة لهم لكن النصر لنا وللشعوب المتحمسة الكادحة الطاهرة •••

تيقنت ان هذه الشابة من اهل التياسرية فاردت ان اقمعها

ـ النصر بجثث الاموات تضيفين اليها جثتك وجثث غيرك • الميت حمل ثقيل يا •••

لم تجبنى ثم بادرتنى متسرعة لاهثة

ـ فكرة طيبة ! فكرة طيبة ، جثث الاموات لرفع الاسلاك • طيبة للغاية • ثم ارتمت على صدرى فوقفت متأخرا مدهوشا

ـ يا ابراهيم ! يا ابراهيم باسم حبنا الماضى ، حب الشباب الغالى ، ارجوك ان تساعدنا •

فازداد استغرابى • قلت يائسا يابسا :

ـ لكن اية مساعدة ؟ •

ـ سلفنا 15 ميتا من المستشفى •

فوجمت وكدت ان اصفعها لكنى اعرضت فهممت بالخروج • سبقتنى الى المدرج متعثرة

ـ ابراهيم ! ابراهيم عدنى انك ستعود بعد اربعة ايام • اعدك بشرفى انك لن تجد الا الخير • تذكر حب صبانا • والله لن اطلب منك الاموات • لكن ارجع •

ـ لكن ما هو مرادك من كل هذا ؟

ـ رفع الاسلاك الشائكة • انها تمزق قلبى وقلوب اخوانى •

ـ لكنك تريدين تحرير الوطن بالاموات •

ـ وهو كذلك • تلك غاية مجيدة • نحن نستطيع ان نحيى الاموات • انا احييهم بعينى الخضراوين

فتيقنت انها مجنونة لكنى اردت ان اخلص نفسى منها فتلطفت معها

ـ انت خاطئة • فانت تدافعين عن قضية عادلة بحجة ضعيفة واهية

فسكتت وتركتنى اخرج • فهربت هروبا وتنفست الصعداء • لكن هذه الشابة الحسناء حيرتنى • فهى تدعى أنى عرفتها وان حب الصبا قد جمعنا • انها تطلب منى مساعدة بسيطة : 15 ميتا ، كانهم من ارث المرحوم السيد الوالد • فوالله لن اعود اليها بعد هذه المرة •

* * *

قضيت ثلاث ليال افكر فى تلك المرأة التى جعلتنى اخشى جنونها ومخاطرتها• كانت صورتها تلاحقنى وكانت عيناها الخضراوان تلوعاننى • سعيت وراء كل وسيلة للخلاص منها لكن دون جدوى • قررت عندئذ ان افكر فيها عمدا واتخذ قرارا • فاما اقتل صورتها فى نفسى واما اعود اليها فاشاركها جنونها • ابتدات فاستعرضت تاريخ حياتى لعلى اجدها فيه واضحة الملامح • لقد عرفت شابات ونساء كثيرات • عرفت فاطمة الشقراء وعينيها الزرقاوين وغموضها المفيد • وعاشرت سامية السمراء وابتساماتها الحزينة وحماسها المفاجىء • واستحسنت الزوجة سلوى التى كانت ترتمى على صدرى وتتحسر لانها لم تعرفنى قبل زواجها • مرت امامى وجوه واضحة رايت فيها الحياة تبتسم وتغرى وتفيد • لكنى لم افز بوجه صاحبتى الغريبة ولم اعرف امرأة عرجاء مثلها ولم افلح بحسنها وعينيها اللتين كادتا تسرقان قلبى فى تلك الليلة•فلعلى عرفتها ونسيتها ؟ لعلى احببتها حبا جما فلم ادركها فيئست منها• وعلى قدر عضة الهوى وخيبته يأتى الانتقام فيكون النسيان ؟ لكنى لم اعرف فتاة عرجاء • لعلى عرفتها فاحببتها ولم الاحظ عرجها اذاك ؟ لايستبعد انها اصبحت عرجاء بعد فراقنا ؟ كل شىء ممكن فى هذه الدنيا، حتى احياء الموتى• وما يمنع ذلك• فلقد خلق الانسان وسائل الفتك والتدمير فاتقنها واحسنها • فلعل الرحمة تصيبه يوما فيتحمس للخير وحده فيخلق حياة الحياة الابدية • ان الانسان ساحر عاقل وحيه كامن •

لقد قالت لى الفتاة الغريبة انها قادرة على احياء الموتى • فكيف ذلك ؟ وما هى وسيلتها ؟ عيناها الخضراوان وابتساماتها المشرقة وسرورها ونور وجهها• لقد كانت تتكلم كلام اليقين عندما طلبت منى 15 ميتا لاحيائهم • بخلت عليها بذلك وحرمت خمس عشرة جثة من العودة الى الحياة•والله ان محياها يحيى الموتى ! فلو سلمتها ما طلبت لفعلت خيرا • لان فى موتانا اباء ظل ابناؤهم يتامى لا مرشد لهم ولا معين، وفى موتانا شباب متحمسون همهم الفوز بالحياة• حزنت لذلك فجبت بيتى ثم لبست معطفى الابيض ودخلت فى الظلام • فلقد قررت ان اسلمها الموتى وارجوها ان تفيدنى متى عرفتنى • قصدت المستودع الذى قادتنى اليه لكنى لم ادركه لان الظلام كان حالكا والشوارع متشابكة • لم أيأس فعدت أبحث عن منزلها • مشيت ووقفت وتأملت وهمست وناديت

لكن دون نتيجة لان النهار بلغني فوجدت نفسي متوجها نحو حي الحروبة . انهكني التعب فجلست فارغ الراس بارد الاعضاء . اصابني ولع داخلي لاني اهملت امرأة كانت مستعدة لاحياء 15 ميتا واحياء نفسي . فمذ رايتها اخذ قلبي يستيقظ من سباته ويعود اليه شبابه .

رجعت الى بيتي متثاقلا فنمت كامل نهاري . تجاسرت على واجبي فأبيت الذهاب الى المستشفى ثم عدت فخرجت في الظلام دون ان اتنبه اني تركت معطفي الابيض . فما كدت اقترب من المستشفى حتى سمعت مظليا فرنسيا يستوقفني مزمجرا . تجاهلته وركضت فصرخ واطلق على النار فدوى الرصاص بين رجلي وفوق راسي وحذا كتفي فكانت شراراته تتراقص امامي متنوعة الالوان وتتلاعب في اشكال هندسية مختلفة . بالغت في الركض واندمجت في شارع جديد فرايت في آخره مظليين كثيرين يزمجرون ويطلقون على النار. فطار عقلي وبت التوى واتمايل وانحنى وأنبطح حتى استنفذت جميع الحيل . ازداد تعنتي فركضت هامسا اسم « حياة » . فلما اشتد على الرصاص صحت كالمجنــون

ــ حيــاة ! حيــاة ! حيــاة !

ثم اندمجت في شارع خال فاذا بي ار المرأة السوداء ملفوفة في حجابهــا تترقبني امام باب المستودع الكبير . جرتني الى الداخل

ــ كدت تموت ياسي ابراهيم . فلولا حظك في وحظي فيك ...

فاجبتهــا مخنوقــا غاضبا

ــ فلو مت ، لمت وحــدى .

فردت على متحمسة مستثمرة لهثي واضطراب نفسي .

ــ هل تظن ان الذين ماتوا في هذه المدينة اموات عزل ؟ يوجد من احرار العالم من مات معهم ولو مثقال ذرة . الاحرار في العالم اخوة . وانت منهم . لست ادرى ما عسى ان تكون لوعتي لو قتلت في الشارع . انك عــزيز على عزة نفسي ، واكثر يا ابراهيم ...

خانتني قواى وصعب عــلى الرد عليها . نسيت صحة كــلامها واخلاصها فتشبثت بكلماتها العاطفية اللطيفة . تكاثر عرقي فمسحته ونظرت اليها . فوجدتها جميلة مثل الشباب وشابــة مثل الجمال . فكلما امعنت فيهــا لفت نظرى شيء طريف جديد فيها لم الاحظه من قبل . فكان يبرز بدعة مفاجئة . فرايت في شفتيها بريقا ولمحت في عينيها ذلا فيه حنــان وحرارة . فالجمال سيخلد فيها ولن يفنى فيها ولو عجوزا .

ابتسمت الى ثم ادمجت اصابعها في شعرى الاسود الكثيف فارتعشت

ـ استرح قليلا ثم الحقنا الى الغرفة السفلى ٠ فسنستقبلك على الرحب والسعة سواء ساعدتنا او هجرتنا ٠

ثم فارقتني ٠ توقفت بعد خطوات وقالت لي

ـ لاتخش شيئا لقد اجتهدنا فتحصلنا على 15 ميتا ٠

صفعني كلامها ففارقت كرسيي لكنها اسرعت وتوجهت الى المدرج ٠ ظللت واقفا انظر الى مشيتها الرشقة فلاحظت انها تمشى مشية عادية كأنها لم تكن عرجاء ٠ فبادرتها وسألتها عن سبب ذلك

ـ تلك حيلة استعملها فى الشارع لأتجنب شر المطلبين ٠ قل ان تطلق النار على من لا يهرب منها ٠

والله ان هذه المرأة شيطانة ! انها ستسلبنى عقلى ٠ ازداد تعلقى بها فتساءلت : اهو الحب ؟ فان كانت هذه بدايته فما عسى ان تكون نهايته ؟ انى اخشى العاطفة الحرى ٠ فهى كالنشوة كثيرا ما يفقد فيها العقل زمامه ٠ اردت ان الحقها فشجعتنى على ذلك اصوات كثيرة اتية من الاسفل ٠ رتبت ثيابى ونزلت ٠ دخلت البيت فسمعت ترحيبا بقدومى ٠ رايت اربعة عشر رجلا جالسين على رفين متقابلين ٠ رمقونى واهتموا بالشابة التى توسطتهم قرب شاب مليح الطلعة طويل قوى البنية مرتب اللباس ٠ جلست فى آخر الرف الغربى فسمعتها تقول :

ـ كل شىء على احسن ما يرام ٠ عندنا الآن 15 ميتا وعما قريب سنجتاز بهم الاسلاك الشائكة لدفنهم فى مقبرتنا بالمدينة العربية ٠

نظرت الينا كلنا ثم التفتت الى الشاب القريب منها ومسحت بنظرها شعره ومحياه ثم ابتسمت اليه ابتسامة مشرقة متامرة حنونة ٠ بدت لى ابتسامتها شتمة فى عرضى وتعديا على شرفى ورجولتى ٠ تحركت واردت ان اقوم فأعبر لها عن حنقى لأنها ضحكت على ٠ اعرضت عن فعلى لانى رأيت حنقى فى عيون جميع الشبان الجالسين ٠ فأدركت انها ضحكت علينا جميعا ٠ فنحن اذا متساوون فى السذاجة والبله ٠ رايتها تقوم لانها فهمت ما سرى فى نفوسنا

ـأظنكم تعرفون أخى عبد القادر ٠ لقد انضم الينا ليعمل معنا ٠ انه أخى شقيقى ٠٠٠ وانتم اخوانى فى الشعور والمصير ٠

فرايت الوجوه تشرق والاطمئنان ينعكس فى تحرك الاجسام واهتزاز الاكتاف العريضة ٠ لكن ذلك لم يسعدنى لأنى ادركت انى ساواجه اربعة عشر مزاحما ٠ ليت اخاها كان عشيقها اذن لسهل على الامر ! سألها احد الشبان مبتسما ابتسامة المحتشم

ـ انا ما تمكنت من اختيار ميتى لرفعه ٠ انا اقل الجماعة قوة ٠

ـ ما فى ذلك بأس · تفضل ادخل البيت المجاور لتختار ميتك ·

فقام ودخل البيت · اضافت حياة

ـ بقى خمسة منكم لم يختاروا موتاهم · ليفعلوا ذلك الواحد بعد الآخر· بقى ميت واحد دون حمال · فهل لك ان تحمله يا سى ابراهيم ؟

فاجبت متلعثما

ـ لا ارى مانعا فى ذلك ·

فبادرتنى متحمسة مبتسمة

ـ الله يعيشك ! انا اعرف ان قلبك حى لن يموت · سادخل معك لاختيار ميتك ·

دخلت معها ثم عدت قبلها يكاد الضحك ان يفلقنى · فاستغرب الحاضرون وغضبوا · اما حياة فكانت مضطربة ثم صاحت فى

ـ مالك ؟ مالك يا ابراهيم ؟ هل جننت ؟

ـ لا ، والله ما جننت لكن المؤدب سى الوحشى اضحكنى ·

ـ لكن ما الغريب فى ذلك ؟ المؤدب مات · قتلوه غدرا ·

فازداد ضحكى وتلعثمت الشابة الجميلة واستولى عليها حزن كنت احس انها تتنفسه · فشعرت ان المرأة الجميلة الحساسة مرآة ما ملكت يداها · فلو وضعنا قطا فى حضنها الشابهته · ارتمى على اخوها فتجنبته · فقلت والضحك يخنقنى

ـ يا جماعة اسمعوا حكاية المؤدب وسوف تعذروننى ·

وقصصت عليهم انه لا يمكن للمؤدب سى الوحشى ان يموت·فهو لم يخلق ليموت بل ليدخن التكرورى فى الزوايا والاماكن الهادئة · انه من ناس خلقوا للراحة كما خلق آخرون للكفاح وآخرون للسرقة والبهتان · تابعت كلامى فقصصت ان شرطيا كان يتجول قرب الميناء القديم ببنزرت فرأى دخانا كثيفا خارجا من دكان صغير · فظنه حريقا فاقترب من الباب وطرقه · فلا مجيب · طرق ثانية · فلا مجيب · تاخر ودك الباب ففتح · تاخر ثانية لانه لم ير شيئا فترك الدخان يخف ثم عاد فدخل · راى اشخاصا جالسين يتوسطهم شيخ معمم ·

فسألهم

ـ ما تفعلون يا اهل الخير ؟

ـ والله ننتشى « بمزة » من التكرورى · نعتقد انك لاترى مانعا يا أخانا

ـ تبارك الله على اخوانى ! هاتوا هوياتكم !

ـ نحن متأسفون ·

وأضاف احدهم كانه فاز بحجة

ـ الاستعمار الكلب حرمنا منها ·

ـ لكننا استقلنا منذ سنتين

فاجابه احدهم متذاكيا

ـ لكن رواسبه ما زالت عندنا ·

فلم يجبه الشرطى فسأل اولهم عن شغله فاجاب انه « عوادجى » اما الثانى فكان « قهواجى » وكان الثالث « درباكجى » والرابع « كمانجى » أى نخبة من الفنانين · فلما وصل دور الشيخ المعمم ساله الشرطى متلطفا معاتبا ·

ـ وانت ياسيدى الشيخ ، ما هو شغلك ؟

ـ قرآنى والله يا وليدى ! اقسم لك بالستين حزبا ، انا قرآنى !

ضحكت فلم يضحك معى احد بل رايت وجوها صامتة جامـدة تعبـر عن العتاب والغضب · شعرت عند ذاك بموت المؤدب · لقد رايته ملقى على حصير ملفوفا فى كفن ابيض · اما وجهه فقد لونه دم داكن وغبار وتبخرت من جسمه نتونة مخنقة · جلست وسكت · بادرتنا حياة

ـ اظن ان كل واحد قد ادرك ماموريته ومسؤوليتها · اننا سنرفع الاموات ليلة 19 اوت · ارجو ان تكونـوا هنا فى الساعـة الثامنة من تلك الليلـة · الى اللقـاء ·

فرايت كل الشبان يمتثلون اليها مشغوفين بها · بدا لى ان تلك الشابـة قد سحرتنا · تأخرت ساعيا الاختلاء بها لكنى رايتها تنحنى على شاب وتقبل خده بحرارة وهمست له فاشرق وجهـه · ياحيرتى ! لانى كنت اتصور ان الرجل هو القادر الوحيد على حب نساء كثيرات · فهل انقلبت الآية اليوم ؟ اردت ان اسألها عن ذلك فبادرتنى

ـ يا ابراهيم يا سيدى ، الغيرة خطيرة لا سيما فى ايام العسر · سوف اجعلك تتذكرنى · انا المرأة التى عرفت واحببت ··· انا حية فى ذاكرتك ·

ثم تركتنى ودخلت بيت الاموات وغلقت بابه · فظللت حائرا ثم خرجت متثاقلا ، متحمسا الى رجوعى ليلة 19 اوت لاعرف حياة ·

* * *

كنت استمع الى شابين من المتطوعين يتحدثان · فكان احدهم يدعى سالما · فهو لطيف المحيا مجعد الشعر · خاطب صاحبه

ــ كيف عرفتها يا علي ؟

ــ طرقت بابي المقابل لهذا المستودع · فاحترت من امرها · لكنها اقنعتني بعد حين انها حياة ابنة جارنا المكاوى بالمهدية · فلقد تعارفنا واحببنا بعضنا حبا جما · لكننا تفارقنا منذ سنوات عندما قصدت بنزرت للعمل بالميناء · انى مسرور بوجودها هنا رغم خوفي عليها من الخطر ·

فسكت ثم ابتسم واضاف

ــ انها بديعة · فلقد ذكرتني بكل تفاصيل حياتي · فلست ادرى كيف استطاعت تذكر كل ذلك · انا مسرور بذلك · انى ساخطبها من اخيها للتزوج بها بعد مرور هذه الازمة ·

ــ لكني عرفتها ايضا · انها حياة المعلمة التي كانت تدرس بمعهد شارع روسيا الثانوى · لقد عرفتها عندما كنا نطارد طالبات المدارس · كنت ارغب احدى تلميذاتها فاذا بي افوز بها · لقد وجدتني بمعمل الاسمنت مختفيا وبيدى رشاش · انها جميلة · هذا المساء بعد الرجوع سوف اخطبها من اخيها ·

نظر الشابان الى بعضهما مدهوشين متعارضين · تركتهما واقتربت من شاب آخر فرايته يتلذذ حديثه ويبتسم لنفسه ولغيره · قال لصاحبه

ــ يا اخي الاخت حياة جميلة مثل القمر ! تعلمنا في مدرسة واحدة بقرية القلعة الجرداء وعطفنا على بعضنا عطفا عميقا · والله ! والله ! ما كنت اظن انها ستصبح تحفونة حبوبة · فجئ تجلس مع اخيها هناك سأخطبها للتزوج بها · ما قولك في هذه الفكرة ؟

ــ فكرة فاسدة للغاية · اجد ما احسن منها لاني فكرت فيها قبلك ·

وقع هذا الحديث بين الشبان في بيت المستودع السفلي وكانت الساعة قد بلغت السابعة مساء · كنا نترقب حياة واخاها لدفن الموتى · لاحظت ان الشبان كانوا منهمكين في حديث حام · فتيقنت انهم يتحدثون عن حياة · تحولت بينهم ثانية فعلمت ان كل شاب من الحاضرين كان يدعى انه عرفها · فكنت اكثرهم لوعة لاني كنت اجهلهم بها · ولكني ادركت انهم مشتركون جميعا في الغموض · فلم اسمع احدا يؤكد انه يعرفها حق المعرفة · بل كل مافي الامر انها اقنعتهم بمعرفتها كل على حدة فعشقوها وهي غامضة وساحرة فلا مفر من ذلك · فاقتنع كل على شاكلته انها حياته في روحها ونفحتها وثروة نفسها وجسمها ·

قبضت على عزمي من ناصيته وقررت ان استبد بخطبتها · لقد قررت ان ارتمي عليها فاضمها الى صدرى واقبلها قبلة شهر وذلك حين تضع رجلها في آخر درج · فان احتجت هي او اخوها فان حجة ردى ستكون قوية · الم تقل لي تلك الشابة انها احبتني واعزتني ؟ فان كذبت ذلك الا يصح لي ان انتقم

منها موضحا للشبان انها ضحكت علينا جميعا ثم اترك لها عندئذ تحمل عاقبة غضب المحبين الفاشلين ؟ فان استحسنت قبلتي فان الشبان سيقبلون الامر المقضي ويتركونها الى • اقتربت من المدرج وترقبت ناظرا الى الشبان الاخرين الذين مضوا يتحدثون عنها واشتدت مزاحمتهم عليها حتى كادت تنقلب الى مشاجرة صريحة لولا أننا سمعنا حس اقدام تنزل المدرج • سكتنا واستوينا واقفين بعد ان رتب كل فرد منا ثيابه وشعره • رايت من الشبان من كان يتمتم ومنهم من كان يمد عنقه ويرهف السمع كانه يعد الخطوات بالمدرج • ابتدأت الخطوات سريعة ثم تباطأت ثم توقفت • كان نفسنا يسرع ويتباطأ ويقف • سمعناها تنزل المدرج ثانية ، متباطئة ثقيلة • فكنا نحسب مقدار قربها منا لانا كنا نعلم ان المدرج يحوي عشرين درجة • لقد بلغت الآن الدرج الرابع عشر •• الثالث عشر ••• الثاني عشر ••• السادس ثم توقفت فجأة • لم يجرأ أحد على الاقتراب من المدرج للاستخبار • وفجاة اسرعت الخطوات فنزلت الدرجات الرابعة ، والثالثة ، والثانية والاخيرة ••• وظهر اخو حياة وحيدا • فتعلقنا به ومد بعضنا يديه له وسألته عيوننا • كان مهموما ثقيلا • التففنا حوله خائفين على حياة • اشار الينا بالجلوس ثم قصد كرسيه فبرز كرسيها فارغا • ساد البيت سكون محرج ثقيل • تجرأت وسألته

– اين حياة ياسي عبد القادر ؟ هل هي اتية عما قريب ؟

فنظر الى حزينا وحرك راسه نافيا فاستفسرته

– فارقت بنزرت ؟ تركتنا لتكافح في مكان آخر ؟ ان ميادين الكفاح في بلادنا كثيرة •

– لم تفارقنا حياة • انها معنا في هذا البيت •

ادرنا كلنا رؤوسنا الى البيت وسقفه ومدرجه • سمعنا صوت اخيها يرن

– انها في بيت الموتى ••• لقد قتلها المظليون البارحة •

فقفزنا قفزة رجل واحد وهجمنا على باب الموتى • سبقنا اخوها اليه ومنعنا من الدخول

– يا جماعة ارجوكم ان تكونوا من العاقلين الصابرين • عندي وصية من حياة اليكم • انها تناشدكم مواصلة عمليتنا ثم انها ترجو منكم ان لا تفضلوها على غيرها من الاموات •

فسندفنها معهم •

ثم فتح الباب فكشف عن وجهها الهادىء الوضاح • فرايناها جميعا وكنا صامتين متساوين في الحزن عليها • ان الغريب في هذه المرأة انها عودتنا على اشتراكية الاعتقاد في مفاهيم شتى • فلو ظلت حية لجعلتنا ندرك القمر • فلو ظلت حية لجمعت امة كاملة للكفاح من اجل خبز الفقير وفرحة القلوب والحياة الكريمة • انحنى عليها احد الشبان متسرعا مضطربا

ـ انا احملها الى المقبرة

فارتمى عليه آخرون وارادوا ان يمنعوه ليفوزوا بها لكن اخاها اعترض

ـ هى اختى · اتركوها الى ارفعها

فلم ينازعه احد · اقترب منى عبد القادر ثم همس فى اذنى

ـ حياة كلفتنى ان ابلغك وصية ··· لا تؤاخذنى ان صدمتك ·

ـ ما هى وصيتها ؟ قلها ولو قتلتنى ·

فانحنى على واخبرنى ان وصيتها تتعلق بتذكيرها اياى · فذلك وفاء منها بالوعد · علمت انها حياة ابنة جارنا سى منصور العدل الشاهد الذى يسكن فى رقم 14 من نهج تربة الباى · لقد تعارفنا منذ تسع سنوات ، كنت اذاك فى الثامنة عشرة · فكنت افوقها بثلاث سنوات · تعلقت بها مدة شهر ثم تركتها لانى وجدتها ساذجة طفلة لا تستحق التقدير ولا ترضى معاييرى · لقد لاحظت اذاك سحر عينيها وجمال طلعتها لكنى بغضت سذاجتها وثقلها · وبعبارة اخرى وجدتها لا تناسبنى فى رقصى وتفلسفى وتذوقى هذا الشاعر دون ذاك وهذا الممثل دون الآخر · فلقد كانت متخلفة عنى · فنسيتها وركضت وراء المليحات والقبيحات ممن تعفرتن فى الحديث والدلال والتبرج أى من كن يصفعن مخيلتى ويثرن فى نوعا من الاعجاب والاغراء والفضيحة · فما ظننت ان مراد الحب العميق بسيط متواضع · وما علمت انه سيتخذ حياة مثالا له · تلك حياة التى عرفتها · وجدتها اليوم جديدة لذيذة قد اكسبها الكفاح جماله · اليس جمال المرء ياتى من تفانيه فى سبيل اخوانه المحتاجين اليه ؟ سالت اخاها وفى عبارتى سذاجة الحزن

ـ هل كانت تفكر فى دائما ؟

ـ كلما طالت السنون ازداد حبها لك · انها احبتك لانك نسيتها ·

فياليته ما قالها ! نسيتها فشغفت بى وفنيت فشغفت بها فكأن الحب يخلد عندما يخيب · قال اخوها

ـ حياة تطلب منك فضلا واحدا · ترجوك ان تترأس الشبان الذين سيحملون الموتى لانك الوحيد الذى يملك هوية ممرض شرعية · اما هويات الآخرين فهى مزورة · فان اطلع المظليون على هويتك الصحيحة من المحتمل ان يتركوا الآخرين يمرون دون تشدد فى مراقبتهم · فسالته

ـ لكن ماهو الهدف من عمليتنا ؟ أدفن الاموات ام رفع الاسلاك الشائكة ؟

ـ ألم توضح لكم حياة ذلك ؟

ـ اظن انها كانت تعنى رفع الاسلاك ·

ـ لن نهتم بالاسلاك · فهى من عمل المتظاهرين · فنحن سندفن الاموات·

وتلك عملية رمزية نريد ان نسجل بها ان هذه البلاد حق لنا دون غيرنا نفعل فيها ما نشاء ومتى شئنا ٠

ـ لكن المظليين لن يتركوا الاموات يمرون ولا الاحياء يتجولون فى الليل لا سيما بعد مظاهـرة النهار التى اتصورها ثقيلـة عليهم وعـلى اعصابهم ٠ الانخاف على انفسنا من شرهم ؟

ـ من النادر ان تطلق النار عـلى من يحمل ميتا ويتجه نحوك ٠ فالميت وحامله حياديان ٠

ـ ليت المظليين يفهمون ذلك ٠

ـ تلك مسؤوليتنا وخطرها ٠

لم نخرج فى تلك الليلة لان مظاهرة 19 اوت الصاخبة قـد جعلت جنـود الاحتلال يهتمون بكل صغيرة وكبيرة ٠ فخشينا ان يكشفوا امرنا ٠ فافترقنا على موعد الرجوع فى الليلة المقبلة على الساعة التاسعة ٠

* * *

سبقت جميع رفاقى فبلغت المستودع فى الساعة الثامنة والنصف ٠ جلست مدة على كرسى لكن سكون البيت ثقل على ٠ قمت فتفسحت ثـم فكرت فى دخول قاعة الموتى ٠ لقد اشتهيت ان انظر الى حياة نظرة الوداع ٠ فان سئلت عن وجودى بقربها اجبت بانى اتفقد ميتى وادرس احسن طريقـة لنقلـه ٠ تشجعت وتقدمت من الباب خاشعا مضطربا ٠ دفعت الباب وقـدمت راسى ابحث عن جثة حياة فلم ارها٠فتحت الباب واسعا ونظرت فلم ار ميتا واحدا٠ استغربت من ذلك وظننت انى فتحت باب غرفة اخرى ٠ نظرت ورائى ويمينى وشمالى ٠ فلم اجد غرفة اخرى ٠ عدت الى الباب فدفعته فوجدت الغرفة فارغة لا ميت فيها ٠ فما اعجب الفراغ ! انه يكسب الاشياء مساحة تكاد تصيح من وحشتها وبرودتها ٠ كدت اجن ٠ اين الاموات ؟ هل احيوا ام رفعوا ؟ فلعل المظليين قد اخذوهم ولعل حياة قد احيتهم جميعا ، ولعل الاخـوان سبقونى فرفعوهم لدفنهم ؟ اذن وصلت متاخرا ؟ لكن ذلك غير ممكن ٠ لقد طلب منا عبد القادر الرجوع فى الساعة التاسعة ٠ نظرّت الى ساعتى فرايت انها توشك ان تعلن التاسعة ٠ خرجت من بيت الموتى واجتزت قاعة الاجتماع ثم صعدت المدرج مرعوبا لاهثا فرايت عبد القادر داخلا ٠ صحت فيه

ـ الاموات فروا ! لا يوجد لهم اثر فى البيت ٠

فاجابنى هادئا متهكما

ـ ذهبوا يتناولون العشاء ٠

واردف مجدا

ـ متى اصبح الاموات يفرون يا سى ابراهيم ؟ انهم موجودون فى البيت الأسفـل ·

فقلت مخنوقا

ـ اقطع لسانى لو تجدهم ·

ـ انا متيقن انـنـا سنجدهم بالبيت · هيا ساعدنى عـلى اخـذ المعاطف والطاقيات لنبرز كلنا فى زى الممرضين ·

ثم جرنى الى البيت الاعلى الوحيد الموجود فى زاوية · قضينا عشرة دقائق رتبنا فيها المعاطف ونزلنا · رايت الشبان المتطوعين مقبلين فرادى · وضعنا المعاطف فاقترب منى عبد القادر

ـ تـريد ان تـراهم ؟

ـ مـن ؟

ـ الموتى · انهم هنا بالبيت · هيا معى لتراهم بعينيك الآن ·

اقترب من الباب وتأهب لفتحه فمنعته ثـم دفعت الباب رويـدا رويـدا · الاموات فى البيت · ملقون على الارض ، ملفوفون فى اكفانهم البيضاء ، مرتبون حسب الطول والثقل · كانت رائحة كـريهة تتبخر منهـم · كانـوا صامتين جامدين يكاد سكوتهم يتكلم · نظرت اليهم مليا وانحنيت على اقربهم فمسسته ثم التفت الى عبد القادر

ـ يظهر انى فتحت باب غرفة اخرى · العفو ! العفو !

ذلك من ولعى على حياة · وذلك السهو · ألم تر كثيرا من الناس يبحثون عن شىء ضاع وهو بين ايديهم ؟ غلقت الباب ولحقت الجماعـة · سمعت عبد القادر يقول :

ـ سنرفع بعد حين امواتنا ونجابه الخطر · اذن تعقلوا وتمهلوا ثم استمعوا الى اوامرى وحججى ولو بدت لكم واهية ·

رايته يمر بجميع الشبا نفيهمس فى اذانهم فتتهلل وجوههم · همس فى اذنى

ـ مستعد ؟ لا تنس وصية حياة · انها تحبك ·

رفعنا امواتنا فتراست الجمع وتقدمنا متجهين نحو الاسلاك عازمين منظمين· كادت الساعة تقترب من الحادية عشرة ليلا · رايت فى السماء سحبا سوداء تخفى علينا القمر · فكان يطل علينا ويختفى اخرى كانه يخشى علينا · كنا

نمشى بعيدين عن بعضنا ، محاولين الامتزاج بظلال المنازل والسحب على الارض · ادركنا مظليين فى مدخل المدينة العصرية · اضطرب الحارس قليلا لكنه لم يوقفنا عندما راى الهلال الاحمر على صدورنا · نظرت خلفى فرايت عبد القادر حاملا حياة · ابتسم الى ابتسامة منتصرة مشرقة فيها من ابتسامات حياة نور وسرور واخلاص · تاخرت لحظات لأسوى المؤدب على كتفى · التحقت بالآخرين · فما كدت ابلغ رابعهم حتى سمعت ميته يكح · سالته مترددا

ـ هل سمعت احدا يكح ؟

ـ لا ، لم اسمع ذلك ·

ـ لقد خيل الى ان ميتك قد كح ·

فسكت عنى ثم اضاف متهكما على

ـ لعله مات وفى نفسه كحة ٠٠؟

تركته واسرعت حتى بلغت اول الصف فرايت معسكر المظليين حول الاسلاك الشائكة وقرب بيتى · وقف بعض الجنود حاملين رشاشاتهم وكثر عددهم · تصففوا مهددين · لحقنى عبد القادر وعلى كتفه حياة · سألنى ملازم مظلى ·

ـ الى اين رائحون ؟ ومن انتم؟

ـ نحن ممرضون نريد ان ندفن هؤلاء الاموات ·

ـ لكن الاتعرف ان ذلك ممنوع لا سيما فى الليل · هلا تخشون على انفسكم من رشاشاتنا ؟

ـ لقد اجبرنا على ذلك لقلة وسائلنا وتعفن الاموات وذلك خطر على الصحة العامة · نحن ممرضون مسالمون وهؤلاء اموات ·

ـ ان الاموات اخطر من الاحياء احيانا ·

ـ الميت ميت · فهو حيادى ليس اليك ولا عليك ·

ـ الميت شبح عالمى تفوح رائحته فتنغص نفس قاتله وتهيج عزم اهله · الا تعرف ان فى النتونة حياة ؟ الم تدرك انها حياة ؟ حياة ! يا سيد ، حياة !

اضطربت لانى ظننته يعنى حياة صاحبتنا · اخذ الضابط هويتى فامعن النظر فيها بينما اخذ جنود آخرون يصففون الشبان الذين كانوا ورائى · قال لى الضابط وقحا

ـ هؤلاء كلهم ممرضون ؟ هل تعرفهم ؟

ـ انهم زملائى . انا اضمن لك ذلك لانى اسكن بالقرب منك . لقد سبق لك ان رايتنى مرارا . تقدم يصحبه جنديان فجس جميع الموتى وحدق فى جميع حامليهم . رايته يرجع مسرعا وقد سد انفه باصبعيه متجنبا شم نتونة الاموات التى فاحت اذاك كانها اجحت

ـ اذن ضعوا الموتى هنا قرب الاسلاك . صففوهم . فنحن نتكلف بدفنهم

ـ لكن ذلك مستحيل . هؤلاء موتانا . الا ترى ان النتونة تكاد تنفجر منهم . فلاحظ متفلسفا

ـ انهم موتانا ايضا . فنحن قتلناهم ونحن ندفنهم غدا مبكرا .

ـ لكن ...

اقترب منى عبد القادر فامر

ـ ضعوا الاموات واتركوهم للجنود يدفنوهم

فقدت أعصابى فصعقت فيه

ـ اتريد ان تتركهم لهم ؟ انهم سيقتلونهم !

ـ هل رأيت ناسا قتلوا موتى

ـ هؤلاء سيسنون السنة ...

ـ فان كان الامر كذلك فان موتانا سيجاهدون . انا اعرف امواتا جاهدوا وهم اموات .

وضع الشبان حملهم ففعلت مثلهم مرغما لانى تذكرت أنى وعدت بطاعة اوامر عبد القادر . ظللت واقفا مبهوتا . اقترب منى عبد القادر يريد ان يهمس الى . فظننتها رسالة حب من اخته . لكنه قال لى

ـ الاحسن ان تترك بيتك هذه الليلة . من المحتمل ان يصيبك شر .

فلم ادرك ما قاله الا بعد حين . اردت ان استفسره فلم اجده . نظرت حولى فرايت بطحاء بوشوشة والجنود التونسيين يستغربون منا ويتاهبون للدفاع عنا عند الحاجة . ورايت الموتى قرب الاسلاك والجنود الفرنسيين بعيدين عنهم ما يبلغ اربعمائة متر . بحثت عن الشبان رفاقى . لقد ذابوا . كدت اصيح لان نفسى كانت ثائرة على سيرتى وسلوكى . فكيف اترك امواتا اتفقنا على دفنهم كلف ذلك ما كلف ؟ انى لم افهم عبد القادر . لقد كنت اتصوره افضل

من ذلك ! انه جبان ولعله خائن ٠ لكن اليس الذنب ذنبى ؟ الا ترانى قبلت اهداف حياة الغامضة ؟ الم تقل اننا نريد رفع الاسلاك ثم عدلت عن ذلك راغبة فى دفن الاموات للقيام بعمل رمزى يـؤيد اعمال شعبنا الاخـرى الايجابية البطولية ؟ والآن ترانا نترك الاموات للمظليين دون مقاومة ؟ من هى هذه حياة ؟ من اوفدها الينا ومن انتدبها لنا ؟ الشعب والحق ؟ لكنهما لا يرضيان بالاعمال العفوية مثل هذه ولا بغيرها ٠

شعرت انى اخطأت خطأ عظيما ٠ لقد ضحيت بصحوة عقلى فى سبيل عينى حياة ٠ واخال الاخرين فعلوا مثلى ٠ لقد كانت امى تردد لى « استيقظ يا ابراهيم حتى لا يروح بك ماء الوادى ٠»

القيت نظرة اخيرة على الاسلاك فتعلقت عيناى بحياة والمؤدب ٠ لقد ماتت الاولى شابة دون ان تشبع بالحياة، ومات المؤدب دون ان يشبع « بالتكرورى »٠ قصدت بيتى ففتحت شباكه وجلست على كرسى لأنزع حـذائى ٠ فما كدت انحنى حتى سمعت جنديا ينادى

ـ يا ملازم الاسلاك ! الاسلاك الشائكة !

ـ ما لهـا ؟

ـ الامـوات !

فاجاب الملازم بصوته النائم

ـ ماتـوا وكفى ٠

ـ لا ، لا ، يمشون ٠٠٠ ! يمشون كالاحياء ٠٠ ! فروا بالاسلاك الى المدينة العـربية ٠

ـ كفـاك عبثا يـا جندى ٠ نحن لسنا فى اول افـريل ٠٠٠ آه ! فـروا بالاسلاك ! اطلقوا عليهم الرصاص ٠٠ ! اقتلوا الاموات ٠٠ ! جميع الاموات !

أطفأت ضوئى واغتنمت فرصة اضطراب الجنود ففررت راجيا النجاة من شر الجنود مؤملا الفوز بحياة ٠

محمد رشاد الحمزاوى

عصفورتـــــان

بقلـم : عبد المجيد بن جـدو

صـــوت :

فَوْقَ اغْصَانِ الْخَمِيلَةِ

كَرَوَانٌ يَتَغَنَّــى

والنُّسَيْمَاتُ الْعَلِيلَــةُ

فِي رُبَاهَا تَتَجَنَّى

حَرَّكَتْ فِي مَوْكِبِ النُّورِ

ظِلاَلاً تَتَثَنَّى

وَبِهَا قَلْبٌ مَشُوقٌ

هُوَ قَلْبِي يَتَمَنَّى

عَزَفَتْ أُنْشُودَةَ الأَشْوَاقِ

والآمَـــالِ لَحْنَـــا

فَإِذَا الْقَلْبُ الَّذِي هَاجَتْهُ

لِلذِّكْرَى اطْمَـــأَنَّـــا

فَـــانْتَشَيْنَـــا

وَمِنَ الْحُبِّ سَـــكِرْنَا

وَانْثَنَيْنَـــا

وَبِأُفُقِ الْكَوْنِ كَالأَحْلاَمِ طِرْنَا

وَشَدَوْنَـــا

وَطَرِبْنَـــا غَيْـــرَ أَنَّـــا

قَـــدْ حُـــرِمْنَـــا

مِـــنْ لَـــذَاذَاتِ الْهَوَى

صِرْفًـــا حُـــرِمْنَـــا

الـــراوى :

هاهنا فِي ضِفَّةِ الوادي

حَمَامٌ لَمْ يُجَنَّحْ

يَنقل الْخَطْوَ وَمِنْ سُكْـــرٍ

وَزَهْـــوٍ يَتَرَنَّـــحْ

حَوْلَـــهُ الظَّبْيَـــةُ

مِـــنْ فَرْطِ الْجَـــوَى

مَـــاسَتْ خُطَـــاهَـــا

والضُّحَى النَّشْوَانُ

غَـــنَّـــى .

مِنْ هَوَاهُ وَهَوَاهَا

أغنيــاتٍ

رَدَّدَ الْغَـابُ صَدَاهَـا

أُغْنيــاتٍ

جهل القلبُ مَداها

قـالت الظبيــة :

ـ والــوادي تَــرامى

وَتَسامَــى

وَتَلاَقَى بالسَمَا ....

قـالت الظبيــة :

والوادي عَبير

وَزُهُــورٌ وَشَــذَى

عبقَتْ فيــهِ الكروم

سَهِرَتْ بالأمــس

في آفاقِه صُفْرُ النّجوم

قالت الظبيةُ للشادى

وقد غَنَّى .

في سَمْعِ الزّمان

هـــى :

شِمْتُ في بَارِقِ الْمُنَى

نَشْوَانَــا

لَمْ يَزَلْ يذكرُ الْهَوَى

هَيْمَـانَــا

هـــو :

حَرَّكَتْ حبَّهُ القَدِيمَ

لحَـاظٌ

جرَّعَتْــهُ .

مِنَ الأَسَى

أَلْوَانَــا .

وأَرَتْهُ بخاطرِ الْحُبِّ

دُنْيَــا

أيُّ شَيْءٍ أمَامَهَا

دُنْيَانَــا

وَبِهَــا

بوَّأت فُؤَادِيَ

عَرْشًــا

كُنْتُ فِيــهِ مُمَلَّكًا

أَسْمَانَــا

أَيُّ عَرْشٍ ؟
أَنا عليه أَسِيرٌ
أَأَمِيرٌ . . . .؟
وَيَطْلُبُ الإِحْسانَا
أَنا فِيهِ مُكَبَّلٌ
غَيْـر أَنِّي
ثَـائِـرٌ
لَسْتُ أُعْلِنُ الْعِصْيانَا
أَيُّ أَسْرٍ . . . .؟
يَطُولُ فِيهِ مُقَامِي
أَيُّ حُـرٍّ سَمَـا
هَوَى الْعُدْوانَا
كُنْتُ فِي قَيْدِ مَنْ هَوِيتُ
قَـوِيًّـا
أَيُّ قَيْـدٍ . . .؟
لـه الفؤادُ اسْتَكَانَا
أَيُّ هُونٍ أَقَمْتُ فِيـهِ
زَمَـانًـا
وَعَلَى الرُّغْمِ
عِشْتُ فِيهِ زَمَانًا
إِنَّ قَلْبِي . . .
لَوْلاَ غَرَامُكِ
يَا مَنْ أَسَرَتْنِي . . .
لَمْ يَرْضَ قَطُّ هَوَانَا
أَنَا حُرٌّ .
وَلَنْ أَكُونَ أَسِيرًا
دُونَ حَقٍّ
اسْتَعْبِدُ الإِنْسَانَا
أَنَا فِي الْحُبِّ
لَسْتُ أَطْلُبُ عَرْشًا
وَبِدُنْيَاكِ .
قد طَلَبت مكَانا
هـي :
لم تكن تَقْبَلُ الإِسَارَ
هـو :
وَلَكِـن
قَبْلَ ذَا .
كُنْتُ . . .

ارفضُ الإحسانا

هــى :

لن يكونَ الهوى .

من الحب

حتــى

يَتَــراءى .

بكونه .

سلطانا ....؟

هو ذا

مــا اقولــه

كان حقــا .

هــو :

انتِ .

اعطيت للهوى .

تبيانــا ...؟

هــى :

أَيْن إيمانُكَ القديمُ

بحبٍّ .

هــو :

كنت فيه على المــدى

حَيرانـا .

لِيَ فيــه .

مَدَامــعٌ .

وشكاةٌ .

لم تكن سلطةُ الهوى

طُغْيَــانَــا

يا حبيبي .

فداكَ ...

نفسي .

فإنِّي قد أرَى الحبَّ

في النَّــوَى .

عُدْوَانَــا

هــى :

هــذا جَهْلٌ

ومنطق مُسْتَرَابٌ

يقتل الشوق .

والهوى أحيانا

وحقيق ...

بمغرم .
رام وصلا
ان يُرى .
ـ في ارْتِوائِهِ ـ
ظمآنا
هو :
ما ارتوى
من حسا
بكاسك
كلاَّ .
لا ولم يغد
بعدها
رَيَّانا
فاسمعي الطَّيْرَ
فوق غُصْنِهِ
يَتْلُو .
قصة
حَدَّثَتْ بِنَا
أزمانا

هي :
من لاعج الصَّبابَةِ
صِيغَتْ .
وَبِهَا
هَازِجٌ .
حَكَى بَلْوَانَا
انما الطَّيْر
حينَمَا
نَاحَ في الغَابِ وَغنَّى
مردد أصدانا
وشكاةُ الطيور
من جفوة الالف
تُسَاوِي الدُّمُوعَ
في شَكْوَانَا
نَحْنُ والطير .
في الأَصِيلِ الْتَقَيْنَا
نَحْنُ
في دَوْحَةِ الْمَسَا
جيرانا

هــي :
وعشقنا الزهور
في الرَّوضِ .
قدمــا
واسْتَطَبْنَــا
في ظِلِّهَا الأَوْطَانَا
هــو :
ونَشَدْنَــا
لهاتف الحبِّ
صَوْتًــا
رددتــه
قلوبُنــا
أَلْحَانَــا
هــي :
نَسَمَــاتٌ
كأنَّمَا هيِ همسٌ
هــو :
او كصوتٍ
يضيــع
في نَجْوانا
هــي :
نشرت .
في رواحها .

نشق الورد .
وفَــاحَتْ
زهورُهــا
بــربانــا
هــي :
أَثْقَلَتْ خطوه
اطوال السنين
فَمضَــى
يَنْشُــد
في الذِّكْرى هواه
بهوى حوَّائِهِ الأُولَى
يديــن .
بلغ الحبُّ بــه
اقصى مداه
روحه الثكلَى
بها الحبُّ مكين
لَجَّ فِي يَــأسِهِ
من فَــرْطِ
رَجَــاه
لم يكن قولٌ
عن الحبِّ يبين
لا ولا يُبْلَغُ

بالقول مداه ...
صــوت :
قبلهـــا
لم يهو
شـــمـــا
او قمر
لا ولم يَعرِفْ
أهازيجَ الطيور
لا ولم يدر
مدى هذا العمر
عَيْنُـــه
ما ابصرت .
في الكونِ نـــور
هو من يطعم
حُلْوَ الْعَيْش
مُـــر

وَمَضَى شوقُه
يُتْـلَى للعصور
لَيْلُـــهُ
النَّشـــوان
نجوى وَسَمر
نُـــزِعَتْ
من قلبِ مَنْ يهوى
الشُّـــرور
قـــد راى
في حبِّها الدنيا جَمِيلَه
وبِعَيْنَيْهَا
راى سِرَّ الحياة
وهوى .
من اجلهـــا .
زهـــر الخميلة
واناشيد الطيورِ الغَرِدَاتِ

ورد بالنص المنشور في عدد فيفري الخاص بالشعر تحت عنوان موكب الحياة للسيد عبد المجيد بن جدو اخطاء نوردها مع صوابها :

	قطعة تموء عليلة
والصواب	قطة تموء عليله
	في فراغ من النساء والرجال
والصواب	في فراغ من النسا والرجال
	وكذلك
	انت ثرت اسمى
والصواب	انت من ثرت اسمي
	وكذلك
	أمن العدل يجوعون
والصواب	امن العدالة ان يجوع البائسون

قصص البشير خريف في الميزان

بقلم : الصادق مازيغ

سيدي الاخ الكريم (1)

لقد احببت منذ زمن ان اخصص بحثا للتنويه بقيمنا الادبية التونسية اذ لمحت طغيان الانتقاد المتحذلق الهدام الحالي من روح التقدير والتذوق النزيه للآثار الحية الجميلة • وانتم تعلمون موقفي من اول ساعة ازاء ما تسمونه « محاولات » وادعوه انا آثارا ادبية تونسية رائعة ممتعة لا غبار عليها•ولست في حاجة بتاتا كيما اتذوقها ان استنجد بجان بول صارتر ، او اعتمد على دستويافسكي ، او الوذ بغستاف فلوبار في « تربيته العاطفية » • فهذا عبث محض ، ومخرقة جوفاء • يكفيني ان يكون « افلاس » نجاحا باهرا من الوجهة الفنية ومن حيث التجربة الانسانية وحتى بالنظر الى الموعظة الاخلاقية • فلقد غصت الى اعماق واقعنا الانساني والتونسي في الآن نفسه ، وكنت في نفس الساعة كاتبا عربيا تونسيا ، له منحاه الخاص ومنهاجه المعلوم في الايجاز والوضوح وتجنب التحاليل الضافية المضجرة ، والصور النفسية الباثولوجية المعقدة ، من مثل غثيان صارتر الوجودي ، وهستيرية اشخاص دستويافسكي التي تجعلهم اشباه مجانين ـ فاشخاصنا التونسيون العرب لم تبلغ بعد نفسيتهم ، والحمد لله ، ذاك المستوى المزعج من الثورة والنقمة واليأس والانكار •• وما علينا ان نطالبك الا بتقديم نفسيات تونسية شرقية من ذاك الوسط الذي عشت في احضانه ، فيكون بذلك ادبك صادقا ، اما اذا رسمت لنا صورا هي نسخ طبق الاصل من ابطال زولا مثلا ـ او اشخاص موريالك فلن يكون قصصك جديرا بالاعظام • من حسن حظ هذه الامة الاسلامية ان المأساة الوجودية لم تتغلغل بعد في اعماقها وان آفات هذه الحضارة الهدامة الملحدة الشيطانية لم تبلغ منها مبلغا بعيدا•وكذلك كان ادبك تونسيا بمحاذاته لواقعنا النفساني الذي هو اقرب الى السذاجة والفطرة ، حتى في احلك ساعات المأساة • ان اشخاصك على الحقيقة لمتأثرون بماضيهم الشرقي الاسلامي ، وان لم يتفوهوا ، فيما لحظت ، بالفاظ تشعر بواقع العقيدة الاسلامية • ومن المعلوم ان ذلك الشعور المضجر بالاثم والخطيئة الذي هو من خصائص المسيحية ليس من شأن ابناء الاسلام وبناته ـ فلقد ادخلت

---

(1) من رسالة بعث بها الاستاذ الصادق مازيغ الى البشير خريف وحبذا لو نحا نقادنا منحى الأديب الكبير الصادق مازيغ فعرفوا بأدبائنا وقيموا آثارهم وساهموا بذلك في بعث الادب التونسي •

النصرانية على اتباعها مركب الخطيئة ، بما سنته من اقرار واعتراف بالذنوب بين يدى الكاهن ، مما جعل المؤمن فى صراع مستمر وجهاد مرهق ممض مع نفسه . اما المسلم العاصى فهو فى اطمئنان لوثوقه بعفو الله الغافر الوحيد للذنوب .. فليس لنا اذن ان نطالب اشخاصك الواقعين فى الاثم ان يحصل لهم مثل هذا الصنف من تندم على الوقوع فى اى رجس او خطيئة ، اللهم الا ان نلحقهم خطأ وظلما بشخصيات متأثرة بالمسيحية مما نجد نماذج له بعمل القصاصين الغربيين الذين وصفوا واقعهم الاجتماعى .

اما الثورة والنقمة العارمة على الوضعية الاجتماعية وحتى الانسانية فى مجموعها ، فهى فيما اعتقد ابعد الاشياء عن امزجتنا المتأثرة بروح الشرق والاسلام – على الرغم مما يذهب اليه بعض من آخذك عن عدم تصويرك لها فى رسمك ملامح ابطالك النفسية . فالثورة قرينة للنفى والالحاد ، ولفكرة المناقشة والمعارضة لصنع الخالق المدبر الحكيم . وعقيدة الايمان بالقضاء والقدر متأصلة فى اعماقنا الوراثية واعماق شخصياتك التى اجدها مسلمة وان لم تفه باسلامها . انها مستسلمة للاقدار . من حيث لا تشعر . فهى شخصيات قصصية باتم معنى الكلمة ، ان رجعنا الى النظرية القائلة بكون القصة تفترض وتقتضى بطبعها الايمان بقضاء متحكم جبار هو المتصرف الوحيد فى مصاير البشر . ولنا بطبيعة الحال ان نسمى هذا القدر صدفة . « المكتوب » هو العبرة الحالكة المتشائمة البليغة التى تستخلص من اروع القصص .. ان الفرد لا ارادة له امام الاقدار . او ليست الاقدار الساخرة والصدف العمياء هى التى حكمت على البطلة الفتاة بالتبذل والعهر ، اذ اوقعت اسرتها فى الفقر اثر موت الوالد الهرم .. بيد ان هذه الاقدار الساخرة قد يكون لها اسم آخر وذلك هو المجتمع الجاهل او المنحل المضطرب المذبذب شأن مجتمعنا هذا المتقاسم ما بين سننه التقليدية المحترمة وواقع حاضره المملوء بالمجهول والمغامرات ، مما يولد المواقف الغريبة ويدفع الى احضان المأساة . ومما لا ريب فيه ان للبيئة الفكرية والوسط الثقافى اثرهما فى هذا النوع من جبرية قد يستغلها القصاص . فلامراء ان كلا منا كان حوالى سنة 1925 (ولقد كان مولدى شخصيا سنة 1906 فى 16 جويلية) لامراء ان كلا منا كان فى ذاك العهد ، وفى ذاك الطور من مقتبل العمر ، واثر ما قرأه من ادب معاصر روائى يرفع من شأن الحب ومغامراته ، ويندفع مع تيار الحلم والخيال والمثالية فى هذا المضمار – لامراء ان طائفة كبيرة على الاقل من ابناء ذاك الجيل المتكونين مثل ذلك التكوين ، كانوا الى حد ما وبدرجات متفاوتة صورا طبق الاصل من شخصية بطلك (سليم البرجى) (1) الذى وجدت فيه شخصيا طائفة من ذكريات ذاك العهد وارتساماته وحتى من غروره واباطيله . ولا شك ان الافلاس نشأ عن ذلك الغرور – ذلك الغرور الادبى المبعد عن واقع الحياة القاسية الشوهاء ،

(1) سليم البرجى بطل قصة « افلاس » التى نشرت تباعا فى مجلة الفكر

فما ينفك البطل متنازعا مقسما ممزقا ما بين امثلته العليا للحب وبين واقع مبتذل قذر ... والخيبة متمثلة من اول اتصاله بربة هـواه (فاستسلامهـا للقبل ، وخوفها فقط من اثر الحمير كان بمثابة الصفعة الاولى لاحلامه) ولكن للغريزة اثرها وحكمها فى مثل تلك السن ، فهى حين تطغى تسدل قناعها على كل معنى آخر ، لكن الرغبات الاخرى ما تلبث ان تتيقظ وما يلبث الصراع ان يعـود ... والحـق ان شخصية بطلك سليـم شخصيـة تروقنا بانسانياتهـا الصارخـة ، وبما حـوته من اليم المتناقضات المستقاة من واقعنـا الانسانى لسنا فى حاجة هنا الى الاستشهاد ، على غرار الد .. ف . بشخصيات راسين من هرميون واضرابها « هل انا احب ؟ هل انا ابغض .. » ليس من شأن قصتك ، وهذا من حسن الحظ ان تتعمق فى هذا الصنف من التحليل .. انما يهمها ان تقدم لنا صورة بسيطة واضحة من واقع انسانى متواضع نجده مرتسما فى اعمق اعماق تجربتنا التى عشناها كأبناء بيئة معلومة وفى اطار تاريخ ومجتمع محدودين مضبوطين .. على ان هذه التجربة نراها فوق هذا ، ومن اجل ذاك الاتصال بواقعنا والاستقاء منه ، نراها قد اتسع نطاقها وانفسح مجالها الى آفاق انسانية شاملة ، بحيث تكتسى لدى ذوى الانصاف صبغة انسانية ترفعها مقاما ، وتكسبها اجلالا واحتراما .. ان هذه الآثار من صنع فن متزن موضوعى كلاسيكى راسخ البناء محكم التنسيق والتشييد ، فيه ما فيه من متعة وعبرة ومن عاطفة وفكر ومن تجربة عميقة وبارع خيال ومن مشاهد نابضة فى الآن نفسه بالواقعية والشعر : ومن عجيب خطرات وبديع لمحات تنبىء عن خفقة الشعور المرهف الحساس المشبع بالعطف الصامت المتئد على شقاوة الاوادم وضعفهم امام قسوة الاقدار ، ومن فلسفة ضمنية كئيبة متشائمة منبعثة احببنا ام كرهنا من صميم هذه المهـازل الباكية التى تمثل الاخفاق والغرور وتحيلنا الى كلمة القرآن « ان الانسان لفى خسر الا .. »

اجل ان هذه الشخصيات ليست بالخارقة للعادة ، انها عادية . ولكن الادب القصصى يظهر ابداعه وتتجلى قيمته فى مثل هذه المواضيع التى قد تبدو تافهة مبتذلة غير مقتضية لطول البحث والتحليل والتبسط والعرض . ولكن هذه الغرائز الانسانية وتلك الاهواء متشابهة بمالا تحويه من آلام وصراع ومآس مهما كانت المنزلة فى المجتمع . ولقد قلت

والنـاس شتـى فـان تسبـر غـرائـزهم
وجـدتهـم فـى كفـاح العيش امثـالا

وهذه شخصية « خليفة الاقرع » ما تنفك امام عينى بما حوته مـن دمامـة منتصرة ظافرة ، ومن شقاوة فى طيها الارغاد والرفاه ــ هذا الى التأويلات المتنوعة المتناقضة الذى يمليها عرض هذه المشاهد التعسة المزرية لحياة المرأة فى ذاك الجـو الجاهـل الشعبى الخـاضع لسطوة التنجيم والطلاسم وزائف المعتقدات ــ واذا الحجاب انقلب وبـالا على العفة ، واذا الشراهـة الجنسية

المكبوتة تتخذ لها منفذا ٠٠ مما يلحق اقصوصتك هذه الرائعة بكثير من اقاصيص الف ليلة وليلة التي صورت هي ايضا شبق المرأة ومكايد النساء (كقصة الحمال والبنات واضرابها) ٠ فثبت ان قصتك هذه متصلة بصميم واقع انساني ومجتمع تاريخي بقيت ملامحه على تعاقب الدهور ، فيكون خليفة الاقرع ذا نظائر واشباه في تاريخ المجتمع العربي الاسلامي ٠٠ اذ تصبح عاهته نفسها هي التي تمهد له السبيل وترفع امامه الحجب ، وتميط عن طريقه انواع العقبات ٠ وفي نظري ان تضييق الحجاب ، في العهد العباسي بالاوساط الحضرية هو الذي دفع بالمرأة السجينة الى توخى الحيلة والكيد ، وتعددت امثال هذه الاحداث والمآسي الحريمية ٠ ثم كان من اثر ذلك نشوء ادب يسيء الظن بالمرأة ويمثلها في صورة مخلوق شيطاني ، ـ فهذه النظرة المتشائمة اليائسة الى الجنس الآخر انما نشأت في الاوساط الحضرية وفي عهد متأخر نسبيا وهي متأثرة بواقع اجتماعي تقدمها ، وهو ذلك التضييق للحجاب وما صحبه من رد فعل من جانب المرأة ٠ فعلى ضوء هذه النظرية يحسن بنا ان نفهم تلك النظرة المتشائمة الى المرأة وغدرها وما اشتهر من كيدها ومكرها ٠ اضف الى ذلك ان القينة او الامة المغنية زادت الطين بلة ، فقد تفشى على العهد العباسي هذا الصنف من نساء ضعيفات العفة ، ممن قلما عرفن ، بطبيعة مهنتهن ، بالتصون والخفر والتحرز من الريب ٠ وقد صور الجاحظ القينة في احدى رسائله كامرأة لا ترجى منها عفة او حفظ للعهود ، وعلل ذلك تعليلا واضحا صريحا مرده الى صلتها اليومية بمعلمها ومخرجها في فنهـا ، ممـا يضطرها الى التضحية بانفس متاع ٠٠ وكذلك صور لنا الشعراء من عرفوا من القيان ـ وكذلك عرفهن علي بن العباس المشتهر بابن الرومي ٠ ونعود الى المرأة المخدرة المحتجبة ، ـ فلقد دفع تضييق ذلك الحجاب حولها الى انزلاقها ، ثم الى اثقال كاهلها بالتهم وتصويرها بابشع الصور ٠ ولا غرو ان يعتنق ابو العلاء المعري هذه النظرة المتشائمة دون فحص او تمييز او عـرض عـلى مسبار العقل الذي يؤمن به ٠٠ لكن الرجل كان هنا مقلدا لوسطه بطبيعة تشاؤمه المتغلب على عقله ٠ ذلك ما اميل الى القول به شخصيا ٠٠ على كل حال فالمعري عكس لنا في نعـرة تشاؤمه نظرة تفشت عن المرأة في ذاك الـوسط العباسي المتحضر ـ او ليس هو ينهى عن ادناء اى ذكر من النساء ، وبأى حجة او مبرر ٠ حتى بذريعة تعليمهن القرآن وتلقينهن آيات الذكر ٠ ونرى المعري تبعا لتشاؤمه واساءته الظن بالمرأة وبالغرائز الانسانية على الاطـلاق وبالانسان عامة ، يأمرنا وينصح الينا **بزيادة التشديد** والتضييق في الحجاب فانظر اليه كيف ينهى حتى عن ادناء رجل ضرير من المرأة لكي يعلمها ، اللهم الا المكفوف المرتعش يدا من الهرم والذي تثغمت لمته اى ابيض شعره

ويـتـركـن الرشيـد بغير لـب
اتـين لـهـديـه متعلمـات

761

ولا يدنين من رجل ضرير
يلقنهن آيا محكمات

سوى من كان مرتعشا يداه
ولمته من المتثغمات

حتى الذكور غير البالغين يتعين اقصاؤهم وابعادهم

اذا بلغ الوليد لديك عشرا
فلا يدخل على الحرم الوليد

فان خالفتني وعصيت امري
فأنت وان رزقت حجى بليد

الا ان النساء حبال غي
بهن يضيع الشرف التليد

فلربما ، اذن ، اتخذ ابو العلاء من اقصوصتك العجيبة تأييدا صارخا لنظريته في وجوب التضييق المتناهي على المرأة ٠٠ ذلك ان فنك حر لا يمت باى صلة او تبعية لاى مذهب في الاجتماع او منهاج في الاخلاق ٠٠٠ ومن هنا تعددت التأويل ، بحيث يتفق على استغلال اقصوصتك التقدمي والرجعي ذلك انك وصفت الحياة كما هي ، غير عابىء بتأييد فكرة واضحة في صوغ مجتمع افضل ولا عامد الى ترجيح مذهب على آخر ٠٠ ويعجبني فيك هذا الاخلاص للواقع وهذا الانقطاع الصرف للحقيقة ، وذلك التحرر من كل قيد والتزام الا الفن والضمير ٠٠٠ فهذا هو الفن الحر الذى دعوت اليه اجده متمثلا في اقاصيصك الطلية المتينة التي تمثل مجهودا صادقا امينا متحريا جلال الحق وجمال الفن ونقاوة التعبير ٠ وما عليك بعد هذا ان تتخذ موقفا ، او تدخل معمعة النضال المذهبي او السياسي ، او تناصر التقدميين الحمر ، او تعمل على تأييد الرجعيين ٠ ان فنك ليعجبني ويستهويني بمقدار ابتعاده عن هذه الضوضاء الحزبية العابرة المتلاشية كالفقاقيع ، انه ليستهويني بما فيه من سمة الاستقرار والنفوذ المتعمق الى حقيقة انسانية لا تتبدل بحال ٠ وتلك هي السمة او الخاصية التي قد يحسن بنا ان ندعوها خلود الادب ٠ وادبك من ذاك الصنف الخالد الذى من شأنه ان يقرأ مرارا وتكرارا ، لانه ثرى بالتجربة ، مزود بالشعر والعاطفة الانسانية ، منسجم طلى في اسلوبه وتعبيره مقتصد بليغ في وسائله وادواته ، مبتكر في صوره واخيلته ٠٠ بحيث نلمس شخصية فنانة مبدعة لها مقوماتها الواضحة المعالم البينة الآثار ٠

ولا ادل على خصب هذا القصص ودسومته من هذه الافكار الجمة التي يوحى بها وتلك الآفاق الانسانية التي يفتحها امامنا وحتى تلك البيئات الانسانيات وتلك العقليات الحاضرة والبائدة التي يميط عنها الستر ٠ اجل لم اتمالك وانا

اقرأ اقصوصتك من ان اعود القهقرى الى عصر الف ليلة الذى ما فتئت مخلفاته قائمة فى عصرنا ، وما لبثت ان التمست بعض النور من لزوميات شاعر المعرة البصير . فهذا عزامك او منجمك (الحاج المغربى) هو ايضا موضع للنقد والتسخط والذم اللاذع المرير ، وبالخصوص فى صلته بالمرأة المغراة بالتوجه الى دكانه ـ وكذلك طائفة العجائز السواحر اللواتى ما انقرضن بعد ، ولهن حظ لا ينكر من قصصنا التقليدى المأثور

وان جئن المنجم سائلات
فلسن من الضلال بمنجمات
.. وابعدهن من ربات مكر
سواحر يغتدين معزمات
يقلن « نهيج الغياب حتى
يجيئوا بالركاب مزممات
ونعطف هاجر الخلان كيما
يزول عن السجايا المسئمات »

او لم يشر هنا ابو العلاء الى ذاك الدور الذى يلعبه السواحر واشباههن فى تقريب الصلة بين المرأة والرجل ، وبالخصوص فى اخضاع الرجل لسلطان زوجه او خليلته، بالرقية المكتوبة او التعزيم والبخور او بما هواخطر وافحش من ذلك بين ظهرانينا او كان متفشيا الى عهد ليس بالبعيد وكذلك يحتل (حاجك) مكانة مرموقة فى واقع مجتمعنا الاسلامى التاريخى . وهذه شهادة ابى العلاء كافية فى منحه ما يجب له من التقدير فى مضمار قصص مستلهم من واقع حياتنا .. على ان التنجيم والسحر ما انقرضا بعد حتى فى البلاد المعزوة الى التقدم والنور . فلاشىء يعدل غرور الانسان وبلاهته ، اللهم الا ما حواه من ضروب المكر والدهاء . ولقد مررت ذات يوم فى شبابى على دكان معزم بنهج تربة الباى ، قد ارخى على بابه سترا ابيض وكتب عليه هذه الآية « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا » .. فعجبت لامر الرجل كيف يكتب على بابه ما يبطل صناعته ، ويهدم دعواه .. فعالم الغيب فى الاية المتصلة بما قبلها هو الله .. والله لا يطلع على غيبه احدا اللهم الا رسله بمنطوق الاية التى بعدها ... فهذا مظهر طريف للحماقة والجهل الفاحش المركب كما يقال ...

ومهما كان من امر فقصتك ذكرتنى عهدا بائدا وجوا للحارات العربية المتداعية الرثة الاثواب قد عرفته وعشت فى احضانه .. حتى هذه « السطوح البرص » التى طالما سرحت فيها الطرف متأملا بدائع ما تنبت منغض الاقحوان او عتيد الشوكران .. وكذلك يخلد لنا فنك اجواء من حياتنا القومية الشعبية

التى نراها اليوم اشرفت على التلاشى والفناء تحت معول التقدم الجبار والتطور السريع وكذلك يكون القاص كما يكون الشاعر ببارع صوره وشيق ارتساماته مؤرخا لهذه الآناء العابرة المتلاشية ، ومستعيدا بصفاء فنه وعزة ريشته السحرية غوابر ازمنة مآلها الحتمى ان تنقرض بلا رجوع لولا عمل الفنان الملهم الخلاق الباعث لها مدى السنين ٠٠ فمما لامراء فيه ان عمل الفن الملهم والشعر الصادق هو الذى يحتفظ لنا باروع وامتع الصور والاحاسيس الغابرة ، ويمنحنا اجنحة سحرية ننعتق بها من ربقة حاضرنا السخيف ، وننطلق عليها فى اجواء الزمن المديدة الابعاد ٠ القاص كالشاعر مضطلع من حيث لا يشعر بمهمة الشاهد العدل على عصره وبيئته بما تمخضت به من الاحداث ، وتطورت فى ضمنه من الاوضاع والازياء والقيم ، وتحمست له من المعتقدات والافكار ، واختلجت به قلوبها من المشاعر المؤلمة او المبهجة ، وشغل حواسها من مشهد الحياة المتعددة الالوان ٠

وانا ازعم ان قصتك « افلاس » هى من هذه الناحية تاريخية ، بالمعنى المتعمق الفنى للتاريخ ٠ انك لم تقدم لنا دائرة معارف عن جميع احداث سنة 1925 كما طالبك بذلك بعضهم ٠ فليس من شأن القاص او الشاعر ان يقدما تسجيلا محكما مفصلا ، وعرضا مستفضيا عملاقيا للحوادث بجزئياتها ٠٠ اننى غير مؤاخذك بالمرة على انك لم تشكل ملفا ضخما لقصتك ، ولا مبديا اسفى لكون بطلك لم ينتظم فى سلك الحركة الوطنية ، ولم يتأثر بالاحداث الاجتماعية او السياسية التى جرت فى تلك السنة من تاريخ حركتنا القومية ٠٠ او لعله تأثر بها ، كما تأثرنا بها كلنا يومئذ ، لكنك اهملت ذاك الجانب من شخصك عن قصد ، موجها اشعة نبراسك الى ناحية واضحة ، وتلك هى جانب العاطفة والازمة او المحنة النفسية التى كان يجتازها ـ ومن المعلوم ان كل اعتبار يتضاءل فى مثل هذه الظروف ، ومن شأن الاهواء الجامحة والعاهات النفسية ان تصرف اتجاه الانسان عن كل غرض سواها ٠٠٠ على ان قصتك هى تاريخية ، بل ربما كانت اصدق وثيقة عن التطور المشاهد يومئذ فى العقليات ومظاهر الشعور ٠ فمعلوم ان وضعية « سليم » لن تتجدد مطلقا فى يوم الناس هذا ، ولا شك ان تلك الشخصية وليدة لتلك الفترة من الزمن اذ كانت المفاهيم الادبية محاطة بهالة من الاجلال لدى طائفة من الاحداث والكهول ، واذ كانت المثل الروائية للمرأة المثالية تداعب مخيلاتنا ، وان كان واقع المرأة لدينا يصفعها ويناقضها على طول الخط ٠٠ ومن هنا تولدت معضلة وعقدة نفسية جديرة بالحل ٠٠ وتلك هى الوضعية التاريخية التى عرفها ابناء جيلنا وتداولتها قصتك التاريخية ، التى اراها اصدق وثيقة ادبية عن التطور الذى قد لحق المشاعر فى ذاك الوسط وذاك الجيل ٠ وتلك الوضعية بعينها هى التى الهمت ابا القاسم « صلواته » فى هيكل الحب ٠ كان هنالك

شعور بالنقص والفراغ والخلاء من جانب العاطفة ، اى من جانب المرأة المثالية الجديرة بالحب والهيام • لقد كان فى ذاك العهد كثيرون من اشباه ونظائر الشاب المثقف الملتهب الشاعر (سليم البرجى) ••

ولقد كان كل منهم على حد تعبيرك ••• « اذا خلا الى نفسه يجد انه ينقصه شىء •• ينقصه الحب » حب عميق يملأ فراغ قلبه ، ويجعل من تلك التى تستجيب اليه عروس احلامه ، وبطلة روايات تدور فى خلده •••• (الفكر سنة 1959 ص 231)

تلك هى المرحلة التاريخية لتطورنا العاطفى والاجتماعى التى تناولتها قصتك • وليس بالصحيح ان يقال ان قصتك ••• « بدون زمن محدود » على حد تعبير الد •• ف • فهى بطبيعة ابطالها وملامحهم النفسية واتجاههم الفكرى والشعورى لا يمكن ان تقع احداثها الا فى تلك الفترة من التاريخ التونسى ، ، وعلى فرض انك لم تعين بالضبط سنة 1925 ، فوجود هذا الصنف من نماذج انسانية بعينها كاف لتحديد رقعة الاحداث فى الزمان ••

ان شخصية « لطيفة » او « فوزية نعيم » الممثلة الامية القاصرة الملتقطة فى احضان الابتذال واللهو الداعر لهى مما يرجع ظهوره الى الربع الاول من قرننا هذا ، حيث كان التمثيل يعيش على الهامش ، وحيث كانت المرأة العفيفة لا تبرز امام الجماهير ، وان كانت طائفة من النخبة المفكرة تشكو ذاك النقص فى مجتمعنا • ان بطلتك لتحمل اذن طابع ذاك الوسط والبيئة التاريخية ، ولا نتصور اليوم وجود نسخة منها اذ قد دارت عجلة التاريخ ، وتطور مجتمعنا تطورا معاينا وسار بخطى حثيثة نحو تغيير مفاهيم ذاك العصر واقرار مفاهيم اخرى وقيم جديدة كانت تعد يومئذ احلاما ومثلا عليا ، وان ابتذلت اليوم منذ صارت لحما ودما • ولقد اشرت بايجاز وبلاغة الى هذا الواقع التاريخى الغابر الذى قد يبدو موطن انتقال قد تمخض عن عصرنا الحالى وهو موطن ملء بالتناقض والاصطدام بين متباين العواطف والنزعات •• انك ارخت بوضوح وصراحة هذا المنعرج من تاريخنا الشعورى والفكرى « فى مصر رفع قاسم امين راية الدفاع عن المرأة وفى تونس كتب الطاهر الحداد « امرأتنا فى الشريعة والمجتمع » • فكانت الموازنة بين محاسن كل تربية ومساويها » ••• وكان الشيخ الصدراتى وهو الرجل البوهيمى المتحرر نسبيا فى ذاك العصر له وجهة نظره فى الموضوع • وان كانت ذهنيته مليئة بالآراء والنزعات المتناقضة التى لم تتوحد بعد ، شأن الكهول والشيوخ النيرين من ابناء ذاك العصر ، ممن امسوا مسرحا حيا لمعركة الماضى والحاضر •• وهى شخصية حية جذابة، وانكانت تعسة مخفقة بطبيعة اتصالها بمهنة مفلسة بائرة كمهنة التمثيل فى ذاك العهد ـ على انها لا تخلو من عظمة ونبل ومثالية • وما ظننت ملامحها الا مقتبسة من واقع حى يرجع الى ذاك العصر وحتى الى

عهد ليس بالبعيد : وبعد او ليس الانقطاع الخالص لفن ما مطية مضمونة الى الافلاس والاخفاق المطلق فى مسرح الحياة٠٠ان الفن كيفما كان بطبيعته مأساة والفنان مظلوم يتكبد قساوة الحظوظ ، ويقاسى العزلة المريـرة والانفـراد ، وان كانت له اسرة على ان الشيخ كان بالفعل فاقدا لكل اسرة « اذا خـرج من عالم التمثيل ودخل الحياة الواقعية يشعر بانه اجنبى عنها ٠٠ يقضى اكثر اوقاته فى المقاهى والحانات ٠٠ » ٠٠ ولقد حلم بحياة الاستقرار فوجدها الى حد ما فى تلك المـومس التى التقطها وحاول تعليمها وتخريجها ٠٠ وان كانت هى ايضا تحمل مأساتها وتطمح الى استقرارهـا المنشود رغم خادع المظاهر وكاذب الاوهام والتعلات ٠٠

ان اخفاقها فى حبها الوحيد هو الذى رمى بها الى التمثيل وكذلك سامة الخلاعة والابتذال ٠ ان هذه البغى تبتغى لها منزلا وبعلا قارا يحوطها بحبـه ويحمى فلذة كبدهـا ٠٠ ولكـن شاءت الظروف ان تضعهـا فى ذاك القفص المذهب، وبين يدى رجل يكبرها سنا بكثير، وقد تحطمت قواه ٠٠ انها لثائرة ضمنيا على وضعتها ، وان كانت الثورة صامتة ٠٠ ولئن نفى بعضهم عنها هذه الثورة ، فنحن نزعم انها ملازمة لها من يوم ان « اخذت تكسر الوجوه » ٠٠ ولئن استجابت لراغبها الشاب ، فان ذلك كان مـن فعـل الصدف ، ولمجرد التعنة ومحض التسلية ، وللتشفى من حظ جائر ، وللعودة بين الفينة والاخرى الى احضان وسط قد ألفته بمفعول مهنتها السالفـة ٠٠ الصـدف والاقدار والسوابق هى التى حكمت هنا حكمها ، فضلا عن تلك الروح الثورية الكامنة فيها والتى تدفعها الى تحدى الشيخ المستبد المتحكم ولو فى طى الكتمان ٠٠ فليست شخصيتها بالغريبة كما يذهب الى ذلك الد ٠٠ ف ٠ انما هى شخصية انسانية شخصية امرأة عرفت الشقوة والابتذال واستسلمت لحافز الغرائز ودعوة الاقدار ٠٠ حقا انها لم تبحث لدى سليم عن المال ولا بحثت عن الحب ٠٠ ولكن او ما كفى مبررا لها انها تستمتع ببعثها الهيام وامتلاكها القلوب وباثباتها لنفسها سلطان انوثتها ٠٠ ولكنها ما لعبت دورها فيما يظهر كما يجب مع محبها الحدث اذ ما تخلصت من ماضيها ولا تغلبت على المألوف من اوضاعها وعاداتها ٠ وكذلك ، ما يلبث الغرور والحماس العاطفى ان يميط ستره عن اعين سليم ـ وما ابدع تسميته بسليم ٠٠ لم تكن تلك « تربية عاطفية » على غرار ما اراده الد ف ٠ فى اندفاع واضح الى المقابلة بين بطلك وبطل غوستاف فلوبير وان لم يكن هناك اى وجه للمقارنة فيما اعتقد ٠٠ انما كانت تجربة شاب مثقف اوقعه غروره فى تلك الصلة ، وغلبت عليه احلامه وذكرياته الادبية ، لكن الواقع قد صفع تلك الاحلام ٠٠ وان تمادى الشاب فى حبه ، على الرغم من كل خيبة ـ وبعد ان حاول بغير جدوى ان يبت الحبل ، ولعل ذلـك كان بدافـع

الغيرة ، او بعامل عاطفى كالاخلاص المثالى للحبيبة الاولى مما هو شائع فى تلك السن ، او بعامل التعود والالف والحنين الغريزى ، او بدافع التغلب على ما ظنه ممنوعا عنه ـ او بكل هذه العوامل معا ، ـ على كل اننى لمعجب بعدم تعرضك لتحليل هذه العوامل المشتبكة ، وكانما آثرت ان تعتمد كلمة ابى الطيب

لهوى النفوس سريرة لا تعلم

انك فى الواقع قد جعلت من سليم ، ومن غيره ايضا ، فريسة القدر ٠٠٠ ولكنك لم تقل ذلك حرفيا ، كما يشترطه الد ف ٠٠ وليس بالضرورى ان يسمى القصاص كل شىء باسمه ٠٠ ليس بالضرورى ان تردد كلمة راسين عن فينوس ربة الحب المتشبثة بضحيتها ، ولا ان تجعل فى فم سليم كلمة هرميون « آه ليتنى اعلم عواطفى ٠٠ هل انا احبه ٠٠ هل انا ابغضه ٠٠ » ليس بالضرورى مطلقا ان يلبس قصصنا التونسى لبسا اعجميا ، ولا ان نشترط عليه ان يردد علينا كلمات مأثورة عن دستويافسكى او بول‌صارتر٠٠ فان فيض الفكر لا يحد ومواقف الحياة لا تعد ٠٠ ومن حسن حظك ايها الاخ انك احسنت التعبير عن جبرية الاهواء ، وغموض امرها مما يسمى عندنا « محنة ٠٠ » ٠

وبعد فلتسمح لى ايها الصديق ان اتخيل ما آل اليه امر بطلك سليم اثر خيبته النهائية ، اى حين وجد الوكر خاليا ، والدار لا انيس بها ٠٠٠ اننى لأتصور الرجل‌مافتىء لحد الآن حيا يرزق،وقد صدمته تلك الخيبة ودفعت به الى الاعراض عن باطله ، فعاد الى احضان الجامع وحصل على التطويع ثم درس الحقوق وقبل فى العضوية وهو اليوم يحتل منصبا مرموقا فى القضاء ٠ فلتسمح لى اذن بان اذهب اليه وان استفسره عن تلك الفترة من عصرنا الدفين ٠٠٠

اما رابح فما خلته الا فى حدود السبعين من عمره وقد تزوج بطلتك ، ذلك انها لما التحقت به بالجزائر وجدته قد اصيب فى حادثة سيارة وهو رهن المستشفى وفى حالة يرثى لها ، فعمدت الى معالجته وبذلت دمها من اجله واقامت الى جانبه شهرين تمرضه ٠٠٠ فكتب صداقه بها ٠٠ وتابا الى الله ٠٠ وبعد فقد اصاب بعض الشعراء اذ قال :

وكذلك القصة ، فالتحليل المتناهي قد يفقد الاحداث روعتها ، وهناك دوما جانب من الغموض والخفاء يجب أن يبقى محدقا بالسلوك الانساني ، اذ لا يبلو السرائر سوى الله · على ان هذه المواقف وهذه الحركات الانسانية صريحة في حد ذاتها كافية الابانة عن واقع النفوس · والفن فى صميمه انتقاء واختيار وابراز للاهم فلاهم ، واطراح للحشو واجتناب للهذر · وكذلك حمدت الله ان لم تكن قصتك دائرة معارف سياسية تاريخية اجتماعية ، اذ اقتصرت على الاوكد فالاوكد من ذلك الاطار ، وهو ما اشرت اليه من الجو العاطفى الفكرى ، مما يتصل بالمرأة ووضعيتها على الخصوص · وكذلك مشاهد قصتك فهى متعددة على الرغم مما يذهب اليه الدوف من انه لم يكتشف بافلاس سوى مشهد واحد اى مشهد البادية والقطار يطويها ·· ان هذه المشاهد متعددة ، لكنها مرسومة على نمط موجز بليغ وهى ذات لحمة وشيجة بالاشخاص وعواطفهم ، مرتبطة كل الارتباط بأحداث القصة ، كمشهد بطحاء باب منارة فهو غاية الابداع وانما نراه قبل كل شيء بعيني البطلة التى تكتشفه من نافذة علو الشيخ اسماعيل· وكمشهد الحانة الاسرائيلية بسيدى مـردوم ، وهو مشهد ذو صلـة وثيقـة بمجرى الاحداث ··· وانظر الى وصف العاصفة والمطر والرعد فى اقصوصة « خليفة الاقـرع » · أفليست ملتحمة بتلك العاصفة الاخـرى الانسانيـة ومشاركة بهولها فى صوغ الاحـداث ، مما يجعل الطبيعة متحكمة والصدف قاهرة والاقدار وحدها جبارة نافذة المفعول ···

ان التعمق النفساني ذا الاتجـاه المنهجي العلمي ، وكـذلك ابـداء الآراء الفلسفية ليس من شأن فنان ملهم من صنفك الذى يروقني ·

كفى القاص ان ينقل الينا تجربته كما سجلها بأوفر ما يمكن من الامانـة والصدق ، وبأمتع واحكم اسلوب فني ـ وما عليه بعد هذا أن ينقلب الى علامة نفساني او واعظ اخلاقي · ليدع لسان الحال يتكلم من خلال الاحداث ، ليدعه وحده يعبر عن واقع الانسان وحقيقة الحياة ، فما افصحه لسانا ، وما أبرعه فى سوق العبـرة الى الألبـاب · مـا اسمج القصص ذى الاتجـاه العلمي او الوعظي ·· ولكن العلم والمـوعظة منبثقان دومـا من حنايا قصك ، وسواء قصدت الى ذلك أم لم تقصد ، وتلك هي خارقة الشعر والفن الملهمين الخالصين ان فلسفة برمتها لمنبعثة من مطاوى قصك ،وان اهملت تسطيرها ، واغفلت

تقريرها .. وليس من غرضي الساعة أن اعمد الى استخراجها وايضاحها وتحليلها . فلقد يكون ذلك قتلا لها ، وتضييقا لمجالها الفسيح المتناول أرجاء هذا العيش الانساني الزاخر العباب .. ولكنني أميل الى القول انها فلسفة رصينة متئدة موسومة بطابع تشاؤم متزن وديع ، وتلك هي المسحة الشرقية العريقة اللطيفة التي يمتاز بها هذا الاتجاه في تأثره بتيارات الغرب .

وبعد فنحن أمام قصص تونسي ممتعدسم ثري فائق الاسلوب واضح ملامح الشخصية والفكر قد انصهرت في بوتقته مختلف العناصر والتأثيرات دون ان تفقده منحاه التونسي الرائع الاصيل ، او تقصيه عن مغزاه الانساني الناصع الجليل .

وبالآخرة ، فأنا ما قمت الا ببعض ما يجب من اكبار واجلال لعمل حري بالتقدير . وكفاه فخرا أنه اقام الدليل واضحا على ان القصة ليست بهذا العمل الضخم المستعصي انجازه على القريحة العربية . بيد أن هذه العبقرية التونسية عليها ان تتوخى في ابراز ذاتها منحاها الخاص بها ، لا أن تعمد الى التلفيق والتركيب المزجي والتنكر لحقيقتها وماضيها ، متشبثة بأذيال غيرها تشبثا سخيفا . ليس من شأن قصاصنا التونسي المنتظر ، ـ ولقد كنت يا اخي بالفعل ذاك المهدي المنتظر لقصتنا التونسية ، فلم يعد مهديها منتظرا اذن مذ بعث الى الوجود وبعثت القصة التونسية معه ـ ليس من شأن قصاصنا التونسي ان يكون صورة طبق الاصل من موبصان او دستويافسكي ولا حتى من محمود تيمور ـ لا نلتمس منه الا أن يكون تونسيا أي ان يكون شخصيا نجد فيه صورة ممتعة صادقة من انفسنا ومشاكلها ، ومتحفا أخاذا لمشاهد مجتمعنا، وعرضا رائعا لمعضلات هذا الكون الانساني في مجموعه مما يزودنا حكمة ويملؤنا عبرة ويفتح لنا شواسع الآفاق .. ويعرفنا بحقيقة انفسنا بما حوته من ظلام وضياء .

فهذه كلمة وجيزة مقتضبة عن فنك القصصي الذي قد حرك مشاعري وايقظ افكاري ..

الصادق مازيغ

العطر

شعر :زين العابدين السنوسي

العِطر في شَعر الحبيبة خير من عطر القناني
فاشم منه بجسمها * ما لاتضوعه الاواني
ويطيب لي استنشاق رَيَّاها طوال الليل ساهي
عن كل احداث الزمان وما نسوسه من دواهي
لا أحسب الساعات، او * اعنى بنور او ظلام
متفانيا في غَمْرة * لايقظة هيَّ، او منام
لا أستفيق ليقظة * الا اذا دارت السَّي
فأرى الصباح بوجهها * والفه في ساعدي
واذا بذاك العطر قد * جدت له ريح زكية
وتضوعت اطواقها * منه بارواح ندية
فاقوم ريانا نشيطا لاتواربُني الظنون
متجدد العزمات ريان الخياشم والجفون

* * *

أما وقد فَرَّ الزمان بها وأفقدني رُواها
لا العطر ينعشني ولا أرجو عبيراً من سواها
الا عبير ابني الصغير تضمه يدي الحنونة
فاشم راسه مغمضا جفني، وتعروني السكينة

زين العابدين السنوسي 1940

لغة الرمز والشعر الحديث

بقلم : الدكتور ابراهيم السامرائي

ان الشعراء الجدد قد جاءوا بأشياء جديدة من حيث الاستعمال اللغوى ، وهو أمر واضح نلمسه عند الكثيرين منهم • ولا يتبع هؤلاء الشعراء منهجا واحدا فى فنهم ، فكما اختلف الاقدمون فى طرائقهم ، اختلف هؤلاء ايضا ، فلكل منهم منهجه وطريقته •

فالشاعر عبد الوهاب البياتى يختلف عن بلند الحيدرى كما يختلف عن بدر السياب ، ولهذا الاختلاف أثره فى مفهوم كل منهم للعنصر اللغوى ، فللكلمة عند كل منهم مكان خاص ينبنى عليه استعمال خاص وأداء خاص ، وكل ذلك داخل فى باب الجديد من هذه اللغة المتطورة المنطلقة •

والبياتى يسعى ان يكلف اللغة عناء ، فهو يدعوك الى أن توطن نفسك على نوع من الرمز والايماء لا تقوى عليه الكلمة وهى مفردة قائمة وحدها ، وانما يتم لها ذلك باجتماعها بأخواتها • تقرأ شعر البياتى فيفجؤك لون من الرمز لا عهد للعربية به ، فأنت تحس أنك ترى الشاعر يأتيك بشطر معروف من شعر المتنبى ، أو أى شاعر آخر من الشعراء الأقدمين ، كما يأتيك بمثل من أمثال العرب يدسه فى شعره على صورته ، أو يناله شيء من التصرف ، بل ربما عمد الى القول العامى فيأخذه بنوع من التهذيب والعمل فيصنعه على طريقته ، كما يعمد الى قول شاعر من شعراء الغرب فيفيد منه فى مادته ، وربما اجتمع له فى القصيدة الواحدة كل ذلك فهو يشرق ويغرب بين قديم وجديد ، ومن هذا الحشد يتوصل الى منهجه فى الرمز والايماء ، وقد يكلف اللغة فى سعيه هذا شططا ، فلا تنهض بهذا العبء الثقيل • والشعراء الجدد جماعة جريئة ثبتت للنقد والهجوم فلم تكترث ولم تتنصل ، ولا أريد أن اقول ان هذا الرمز شيء مما عرف فى الأدب الرمزى الاوربى فى القرن التاسع عشر ذلك أن للبياتى طريقة فى هذا الرمز لا تقربه مما هو معروف فى ذلك المذهب الأدبى •

وللشاعر مجاميع عدة يجرى اكثرها فى هذا النهج الذى أشرنا اليه ، ومن ذلك مجموعته « أباريق مهشمة » (1) التى يبدؤها بقطعة تحمل الاسم نفسه،

---

(1) أباريق مهشمة ، دار بيروت 1955

ومـا أظن أن هذا الاسم يرمز الى شيء يصدق على المجموعة كلها ، فقد أطلق عليها تجوزا وتوسعا واعتباطا ٠والشعراء الجدد يميلون الى الابتداع فى تسمية مجاميعهم الشعرية جريا على سنة العصر فى ذلك ، وقد كان الرعيل الاول من شعراء العصر كجماعة « أبولو » وشعراء المهاجر من السابقين فى هذا الابتداع

وتحمل مقطوعات الأباريق المهشمة اسماء غريبة ، غير أن غرابتها تنتهى اذا اهتديت الى سر الرمز والايماء الذى يبغيه الشاعر ، فأنت تجد فيهـا : « المحرقة » ، و « ريح الجنوب » و « أمطار » و « سوق القرية » و « انتظار » و « الحريم » وأسماء أخرى ينتظمها هذا الاطار الرمزى ٠

ولعل من الخير أن نعود الى مقطوعة « الأباريق المهشمة » لنرى الشاعر نافذ البصر فىجمع مادته منصور عدة تبدو وكأنها متباعدة ولكنه، يلم هذا الشتيت ليهتدى الى طريقته فى الرمز والرمز فى هذا النهج يحملالمادة اللغوية وظيفة جديدة فى الدلالة فهو يقول : (2)

الله والأفق المنور والعبيد

يتحسسون قيودهم

شيد مدائنك الغداة

بالقرب من بركان فيزوف ولا تقنع

بما دون النجـوم

. . . .

والبائعون نسورهم يتضورون

جوعا واشباه الرجال

عـور العيـون

فهو يجمع فى صعيد واحد : الله والافقالمنور والعبيد ، ثم انك تجد بركان فيزوف الى جوار بيت شهير من أبيات ابى الطيب المتنبى الذى يقول فيه :

اذا غامرت فى شرف مروم فلا تقنع بما دون النجـوم

فهو يقتنص هذا البيت ثم يعود محدثا عن اولئك الذين يبيعون نسورهم ويتضورون جوعـا ثم يقول : وأشباه الرجال عـور العيون ، ولا ندرى هل

(2) المجموعة ص 9

تؤدى هذه الواو وظيفة العطف أم شيئا آخر ذلك أن القارىء فيحيرة من هذا الرصف الذى يتنكر للمألوف من تركيب الكلام ، ثم اننا لاندرى المقصود من أشباه الرجال ، أهم الذين قصد اليهم الامام على (رض) فى احدى خطبه قائلا: « يا أشباه الرجال ولا رجال » ثم لماذا نعتهم بعور العيون ·

هذه أجزاء يحاول الشاعر أن يؤلف منها مادة تفيد من الرمز الذى لا يهتدى اليه بسهولة ، ثم تقرأ قوله فى القصيدة نفسها :

لا بـد للخفاش

من ليل وان طلع الصباح

هذى الاباريق القبيحة والطبول

ولتفتح الابواب للشمس الوضيئة والربيع

فتجد هذا الحشد الغريب من خفاش وأباريق قبيحة ولعلها مهشمة وطبول، كل ذلك فى نهج رمزى بعيد ·

ولا يغيب هذا النهج الرمزى عن سائر مقطوعات المجموعة فهو فى قصيدة « المحرقة » يقول : (3)

وصنعت محرقتى

وكـان لظى

نيرانها رئتى واعصابى

يا أرض ميدى بالقبور فقد

أطعمت للفيران أعشابى

وهشيم القـاب

وهذه المحرقة مادة من مـواد الشاعر التى يرمز فيها ، وأجـزاء القصيدة تشعر بذلك ، ومثل ذلك قوله فى مقطوعة « الملجأ العشرون » (4) :

الملجـأ العشرون

مازلنـا بخير والعيـال

والقمل والموتى يخصون الاقارب بالسلام

(3) المجموعـة ص 11

(4) المجموعـة ص 13

فأنت لا تستطيع أن تستشف بواطن المعنى بالاعتماد على الدلالات المألوفة للألفاظ . والشاعر جواب آفـاق فهو يحدثك عن بقـاع كثيرة من ارض الله الفسيحة فهو ينعت احدى مقطوعاته بشيء ذى دلالة لطيفة وهو « مسافر بلا حقائب (5) » فيقول :

من لا مكـان

لا وجه ، لا تاريخ لى من لا مكان

فقد أفاد من التركيب فى قوله : « من لا مكان » فاللامكان اسم مـركب لافادة حقيقة معنوية ، وقد افتن الشعراء الجدد فى مـادة التركيب عـلى هذه الطريقة للتعبير عن دلالات خاصة .

ويخاطب الشاعر « لاؤوس » فى قصيدته « فيت مين (6) » فى قوله :

يا انت يا لاؤوس يا غـاب العبير

ونداء الضمير (انت) على هذه الطريقة مما التزم به الشعراء الجدد ، ذلك أنهم يجنحون الى الغرابة الموحية ، وهذا النداء غير متبع فى الأساليب القديمة، وربما كان ترجمة للنداء فى الفرنسية مثلا« ô toi »ويميل الشاعر الى وصف المشاهد العامة كأن يتحدث عن سوق القرية (7) ولكن هذا الحديث لا ينأى عن منهج الشاعر الذى يتخذ الرمز لاداء ما يريد من المعانى ، ففى هذا الحديث حشد من مشاهد السوق الذى يزخر بالفلاحين ، يعمره صياح الديك ، ولكنه لا ينسى ان يسوق لك الحكمة على لسان « قديس صغير » فيقول :

وصياح ديك فر من قفص ، وقديس صغير

« ما حك جلدك مثل ظفرك » والطريق الى الجحيم

من جنة الفـردوس اقـرب

والحاصدون المتعبـون

زرعـوا ، ولم نأكـل

ونزرع صاغرين فيأكلون

لن يصلح العطار ما قد أفسد الدهر الخؤون

---

(5) المجموعـة ص 18
(6) المجموعـة ص 24
(7) المجموعة ص 35

أبـدا على أشكالها الطيور

وهكذا فأنت ترى ان الشاعر يزين هذا الرصف بأشطار مشهورة ، وبأمثال سائرة ، وأقوال مأثورة ، وهو يقصد من هذا الجمع أن يكون وحدة يرمز فيها الى أشياء عدة وقد توسع الشاعر فى الافادة من المجاز جريا على سنة العصر ومسايرة للمنهج الجـديد الذى سار فيه الشبأن من الشعراء فهو يقـول فى مقطوعة اسمها « انتظار » :(8)

ورسائلى وأبى وازهارى

وكلبنا الضارى

يعوى وعينا شيخ حارتنا

مصلوبتان على لظى النار

فوصف العين بالمصلوبة استعمال يدخل فى باب الجديد فى اللغة .

ومن الطريف أن نلاحظ فى بنـاء الشعر الحر الذى يشدو بـه الشداة من المتأدبين انهم ينظمون المقطوعة ويكاد يكون كـل بيت فيها مصدرا بواو يعى دون فهمها النحاة ، وربما تذكر هذه الواوات بلغة العهد القديم فأنت تقـرأ سفر التكوين فتطالعك هذه الواوات للدلالة على العطف تارة وعلى القلب (9) تارة أخرى ، فالشاعر يقول فى مقطوعته « عشاق فى المنفى »: (10)

وأنا وأنت وهؤلاء

والتافهـون

والشمس فى الطرقات تحتضن البيوت

فتثير فى النفس الحنين الى البكاء

وهناك فى قلل من الفخار أزهار تموت

والشمس تحتضن البيوت

وقديم اغنية ، وأطفال بها يترنمون

وبـاعـة متجولون

---

(8) المجموعـة ص 44

(9) الواو القالبة فى العبرية تتصدر الفعل المضارع لتقلبه الى ماض

(10) المجموعة ص 52

والتافهون يساومون على رفات

نسر صغير

وما اظنك حين تقرأ هذه المقطوعة الا ان تقف عند هذه الواوات التي يقصر « مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب » للشيخ ابن هشام المصرى عن ادراكها ، وربما استطيع أن أقول : ان هذه الواو تعرض كثيرا في شعر شعرائنا الجدد من الشبان في كثير من ديار العربية

والبياتى كما اخبرتك جواب آفاق ولم أقل « أفاق » ذلك ان هذه الكلمة قد اكتسبت معنى غير مرغوب في لغة هذه الايام ، فهو يتحدث عن السنديانة وعن السنونو وهذه من المواد التي لم نعرفها في بلدان الشرق العربي كثيرا ولا سيما في العراق ، فهو يقول في « القرية الملعونة » :(11)

والسنديانة ما تزال على طريق العابرين

يقظى توسد جذعها المنخوب أفاق طريد

والافاق في البيت في المعنى الخاص المعروف في الاستعمال الشائع ، وكأنهم يريدون به نوعا من الصعلوك. وهو في مقطوعته « موعد مع الربيع(12) يقول :

وصرخت من أعماق يأسي : « لا اريد »

هى والسنونو والربيع ، غدا تعود

. . . .

رباه ... والباب الموارب في حياء

نفسى تهز رتاجه المصدوء يخنقها البكاء

والسنونو في هذه المقطوعة يشعر بطبيعة غير عراقية على كل حال ، ثم يتوجه الى الله بقوله : « ربـاه » بنوع من الدعاء ينخرم على سبيل الاكتفاء في اللغة وانا واثق أن الشعراء الجدد لايهتدون الى الاكتفاء ، وربما سخروا من أمثال هذه المصطلحات اللغوية ، وهو بعد دعائه تعود اليه الواو فيصف الباب بالموارب وهذا الوصف من غرائب الاستعمال الجديد الذى دعا اليه الشعراء الجدد والتزموا به ، فالموارب هو المخادع ، ولن يكترث هؤلاء الجريئون

(11) المجموعة ص 58

(12) المجموعة ص 75

بالخروج عن المألوف المتعارف ، ولن يضيرهم ان احتملت اللغة هذا النوع من التوسع فى القول ، وربما اطمأنوا الى ان الابتداع فى الدلالات« Semantique » قد حدث فى لغات اوربية حية كالفرنسية والانجليزية ولهم فى بالزاك الكاتب الفرنسى وفى شكسبير أسوة حسنة ، وعلى هذا فهو لا يبالى ان يشتق « المصدوء » من الفعل القاصر على غير ما هو معروف فى أبواب الصرف ، وهو لا يبالى أن يستعمل كلمة « الفراش » على سبيل الافراد دون أن يعلم أنها وردت بصيغة الجمع فى لغة التنزيل العزيز : « يوم يكون الناس كالفراش المبثوث » (13) والبياتى يقول : (14)

لو تلاقينا على ذاك الضياء

كفراشين على الأوراد غاباً

وتشيع مجاوزة المعانى فى شعر البياتى كما حدث فى شعر أقرانه من الشعراء الجدد ، فهو فى قصيدة « فى المنفى » (15) يقول :

المسجد المهجور والليل الموشح بالنجوم

تتثاءب الأشباح فى ابعاده ويحوم بوم

....

هذى القفار بلا قرار

الليل فى ا دائها الجرداء يفترش النهار

فهذه المقطوعة تجرى على المعروف من شعر البياتى الذى يضم اجزاء متنافرة يقصد منها أن تؤدى بالرمز الى معان خاصة ، على أن الليل وهو موشح بالنجوم وتتثاءب الاشباح فيه منجميل القولوبديع المجاز وظريف الاستعارة. ولكن الشاعر يقول : « الليل فى أ دائها الجرداء » وما أعرف وجها للأ داء فهى ليست جمع « ودى » لما بين المعنيين من بعد ، وأكبر الظن انه يريد بها «وديان» او « أودية » جمع « وادى » وليس « الوادى » يجمع على هذه الصيغة ، فذلك من المجاوزات التى ألفت فى الشعر الحديث ، ولا بد من الاشارة الى ان مفهوم الوادى فى ذهن الشاعر غير واضح وما أظنه قد عرف الوادى على هذه الصورة

---

(13) سورة القارعة 4

(14) المجموعة ص 96

(15) المجموعة ص 101

« الجرداء » فى دروس الجغرافية٠ومثل ذلك قوله فى مقطوعته «العائدون»:(16)

الباب موصود فقومى وافتحى

ففى « الموصود » مجاوزة للمعروف المألوف، وما أظنه يجهل قوله تعالى :(17) « انها عليهم مؤصدة »٠

وقد يعمد الى الألفاظ العامية الدارجة فينزلها منزلة المقبول الفصيح وفاء لغرض يصبو اليه ، كما فعل فى مقطوعة « الحريم » :(18)

ما زال يلعب بالحصى والرمل ، مازال التنابلة العبيد

وما أظن أن احدا من غير العراقيين يفقه معنى « التنابلة » فهى لفظة عامية تطلق على الكسالى الخاملين الذين يجنحون الى القعود والكسل ولو كلفهم ذلك عناء وضيقا والكلمة جمع « تنبل » ٠ ومثل ذلك ما فعله فى قصيدة « ذكريات الطفولة » (19) التى يقول فيها :

ونطارد القطط الهزيلة فى الأزقة بالحجار

فقوله « نطارد بالحجار » يحمل تأثرا بالمتعارف فى لغة الاطفال العراقيين وهم يطردون القطط بالحجارة ، فالكلمتان وان كان لهما أصل فصيح فهما من معجم الاطفال فى ألاعيبهم فى المحال الشعبية ٠

ويطلع علينا الشاعر فى مجموعته الأخيرة التى أسماها «كلمات لاتموت» (20) فنراه مازال مخلصاً لمنهجه الذى سار فيه فى المجموعة الاولى ، المتمثل فى الافادة من الرمز والايماء فى مجموعة من الاجزاء تبدد وكأنها متباعدة لا يربط بينها رابط ٠

يعود الشاعر الى منهجه فيعود الى مفرداته كالتنابلة مثلا ولكنه فى مقطوعة « الشعر والثورة » (21) عور والشاعر يؤمن أن العور نقص وتشويه على عادة الشرقيين فى مسألة العور وما يلصقون به من النبز والصفات الشائنة فيقول:

(16) المجموعة ص 104

(17) سورة الهمزة 8

(18) المجموعة ص 108

(19) المجموعة ص 63

(20) كلمات لا تموت بيروت دار العلم للملايين 1960

(21) المجموعة ص 17

الشعر أغـذبه الكذوب

: قالوا وما صدقوا

لأنهم تنابلة وعـور

وهو فى مقطوعة « حتى الموت » (22) يجنح الى نوع من الابتداع فيجرد من الليل شيئا آخر فيقول :

ذاك الرفيق الأسود العينين ساهد

نزعوا أظافره

وظل طوال ليل الليل صامد

« فليل الليل » شيء جديد قصد اليه الشاعر ، وهو صامد والصمود بمعنى الثبات على لغة أهل هذا الزمان فلم ينظروا قوله تعالى « الله الصمد » (23) أى المقصود ، ومن هذا الباب جمعه الدهر على أداهر فى قوله : (24)

ستعيش فى قلبى

وفى شعرى الى أبد الأداهر

وهذا يدخل فى باب الجديد الذى لا أساس له فى المعروف من اللغة ٠

وقد قلت ان الشاعر يعمد الى القول العامى فيدسه فى شعره ليستخلص منه الفائدة المبتغاة كما فى قوله فى مقطوعته « أقوال » : (25)

من قلة الخيـول

شدوا على الكـلاب

سروجهم ونبحوا السحـاب

أصبت بالقـرف

فقوله : « من قلة الخيول شدوا على الكلاب سروجهم » مأخوذ من مثل عامى عراقى معروف ويكاد يكون المذكور هو المثل بألفاظه لولا هذه الزينة الاعرابية، ثم قوله : « أصبت بالقرف » قد استعمل فيه لفظة « القـرف » التى هى من

(22) المجموعـة ص 18

(23) سورة الاخلاص 2

(24) المجموعـة ص 19

(25) المجموعـة ص 26

عامية لبنان الدارجة والتى تؤدى معنى الضيق والانزعاج · ومثل هذا استعماله « الحواة » وهى لفظة عامية شائعة فى العراق لأولئك الذين يمارسون اصطياد الأفاعى ، وتربيتها وهو يقول :(26)

اللصوص الشعراء

الحـواة الاغبيـاء

وربما عمد الى المثل المشهور فى اللغة الفصيحة فاحتال عليه ليفيد منه فى شعره كما فى مقطوعته « ابو زيد السروجى »: (27)

يعرف من أين وكيف تؤكل الأكتاف

والأثـــداء

وأبوزيد هذا مستعار من بطل المقامـة السروجية للحريرى فهو يعـرف « من أين تؤكل الكتف » ولكن البياتى أخذ المثل فاستعمله على الشكل الذى رأينـا ·

ويتأثر البياتى بالمفهوم العـام للكلمة ويعدل عن معناهـا الذى استعملته النصوص الفصيحة كما فى قصيدته « أغنية المحكوم بالحب » :(28)

كان يـدمـدم

افتـح يا سمسم

افتـح لى قلبـك

فقوله : « يدمدم » بمعنى يحدث اصواتا غير مفهومة وهو المعنى الشائع فى لغة الناس الدارجة ، وكان عليه ان يقول :« يجمجم » لأن الدمدمة اظهار الغضب كما فى قـوله تعالى :« فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهـم بذنبهم فسواها » (29) ·

وبعد فهذا لون من الشعر الحـديث قد جرى فيه صاحبه بتجربة جـديدة لا نستطيع أن نتلمس القدر الذى أصابته من النجاح ·

الدكتور ابراهيم السامرائى

---

(26) المجموعـة ص 40

(27) المجموعـة ص 91

(28) المجموعـة ص 119

(29) سورة الشمس 14

جـــــــوع

بقلم : كمال عبد الله الحديثي

لاتحجمي شفتــاك قيثــاري
لا ترهبــي نــاري
من مقلتيك ومن نهديك اشرعتي
مس صــدرك العــاري
رتلــت اشعــاري
من حقدك المجنون ، عاصفتي غضبي واعصاري
لاترهبــي نــاري
لاترهبيها ، كل خالجة همسٌ بآذار
الكأس في صخب الاشواق تنتظر
والراح ذوب الشفاه اللُّعس تُعتَصر
يا ليلنا أرجَ القامات تُهتَصر
العطــر والالــوان والوتــر
احــداق سُمَّــاري
من كل ثغر حالمٍ قمرُ
شــــــلال أنوار

الجوع .. كان بدربنا جوعُ
قد مَات ، لا وخْزٌ وتقريعُ
فالوحش في صدري بلا غل
يا ليلنا حُيِّيت من ليل
الجائعات لجوعي باقة حولي
يا بيدري ، كل نهد مشرق الطل
يا بيدري ، الف آذار هَمَى حولي
هذا حصادي بعد كدح السنين
نهدان خمريّان أُغنيتا حنين
هذا عزائي بعد كل السنين
هذا عطائي بعد جوع مُهين
طيران مَزْهوّان من شمعِ
نهران مزرعتان من نبعِ
شفتان ، كل شبابي ذاب في دمعي
شفتان ، بركانان من لهب
شفتان ، اعصاران من غضب
يا ليلنا قد عربد القدرُ

العطر والالــوان والسُّــرُرُ

هذا حصادي فالْجَنَى مطرُ

مطرٌ ، فايّ ربيع خلف أطماري

يستمطر الشمس فالنوّار نوّاري

الداليات على أرضي ، على حقبي

أفياء تُمْتَارُ من جوعي ومن سَغَبي

من أعين مثقلات الهدب بالنّوب

كل التفاهات ، كل الامس للنار

أمس الاساطير أكداس من العار

أمسي على مفرق الايام مرميّ

نــزع وايمــاض ضبــابيّ

فرح علي ، على الآلام مطويّ

امســي ســراب منــك وهمــيّ

ظــلان مــن دربٍ الى دربِ

جوعان من جدب الى جدبِ

وهمان مجنونان بالخصب

فالوحش فــي صــدري بــلا غــلّ

والجائعات لجوعي باقةً حولي

وغَدِي كجوعي مات في ذكري

مسخ واشباح بلا صور

الداليات عيون من كوى القمر

تنسلُ فالليل مَطْوب باسوار

لاترهبـي نــاري

لاترهبيها كل خالجة همس بآذار

من مقلتيك ومن نهديك أشرعتي

مــن صــدرك العــاري

رتلــت أشعــاري

من حقدك المجنون ، عاصفتي غضبي واعصاري

لاترهبي ناري ...

كمال عبد الله الحديثي

الحرية في الشعر الجزائري المعاصر

— 3 —

بقلم : صالح الخرفي

حــريــة الضــاد

ولــو ارتضينــا بالـمذلـة عيشـة
لمشى الطغـاة بهـا الينـا ركعـا
لكن حـرف الضـاد فى لهـواتنـا
يـأبـى لغير العـز ان يتضـرعـا

تلك هى الوقفة الصامدة المستميتة التى وقفها الضاد فى وجه المستعمر فى الجزائر وذاك هو الاباء الارعن الجامح الذى تشبث به فاستهدف ضراوة الاستعمار الثقافى والغزوات التبشيرية المسمومة ، وعـاش فى صراع معها تلاحقه فى الصفحات الاسبوعية المحدودة ، فيحتمى بالمدرسة الحرة ، وكان احتماؤه بالكتاتيب قبل ان ترى المدرسة الحرة النور ولقد ضيقت عليه الحلقة فى فترة ليست بالقصيرة فاستنجد بالمصحف الكريم الملاذ الاخير للابقاء على حشاشته ، وكان المستعمر ـ وهو يطارد الضاد ـ على يقين من انه اذا اصابه فقد اصاب المقتل فلا غـرو ان يستميت فى المطاردة والملاحقـة حتى المـلاذ الاخير : « علينا ان نخلص هذا الشعب ونحرره من قرآنه » كلمة قالها رجل دين وهو يعنى ما يقول ، ويضيف الكاردينال لافيجورى « فان واجب فرنسا تعليمهم الانجيل او طردهم الى اقاصى الصحراء » وفى اقاصى الصحراء تمتع الضاد بشىء من الغفوة الاستعمارية فانكب يلم شعثه ويستجمع قواه محتميا بمعاقل لم يزل الفضل الاسبق فى الحفاظ على الفصحى يعود اليها ٠

وكان الشعب وقد خارت سواعده المفتولة ، وفلت سيوفه المسلولة ، يشهر من العزيمة سيفا لا يفل ، ويعلق الامل على دينه ولغته حتى سنوح الفرصة لاعادة الكرة ، وكان رغم الجراح المثخنة يتحامل على الاستماتة فى وجه كـل موجة ثقافية مسمومة ، وتركز الدفاع اول الامر فى الدين واللغة مـواجهـة لمركز الهجوم ، وهل يتجسمان الا فى المصحف بعد ان ضاقت بهما **السبل فى فروع**العلم الاخرى،وهل وجدا من ملجا غيرالمسجدبعد ان لم يجدا طريقاالى مدرسة حرة ، وفى محاريب المساجد وأقبية الكتاتيب لم يكن المصحف فى معزل من

الطعنات وقد نقلنا لك أخى القارىء قصيدة محمد العيد فى الرد على تهجمات آشيل علي القرآن (1) مما يعطى صورة ليقظة الشعب ، وتوقد الحمية فى رؤوس مفكريه • ومحمد العيد غالباً ما ينصب نفسه وشعره لسان دفاع على المصحف ولغته : (2)

يا معشر الطلاب هل من آخذ	**بالذكر ، او متمسك بعصامه**
فتشرفوا بالاخذ من آدابه	**وتعرفوا بحلاله وحرامه**
ولكل شىء فى الحياة أذية	**وأذية القرآن من أقوامه (3)**
عملوا على التخدير من تفهيمه	**فكأنهم عملوا على أعدامه**
هجروا مبادئه العلى وتنكبوا	**أحكامه والخير فى احكامه**
زعموا بان صوابه خطأ وفى	**ما يزعمون زراية بكلامه**
أسطورة • ان الذى قد قالها	**لحر بأن يرتاب فى اسلامه**

والى اللسان العربى المبين يمتد خط الدفاع :

لكم اللسان الفذ فى ايضاحه	**رغما على الساعين فى ابهامه**
لا تهملوا هذا اللسان ، ففقدكم	**فى فقده ، ودوامكم بدوامه**
ما هو الا عقد در فائق	**رصفا ، وعلم النحو سلك نظامه**

ويقف محمد اللقانى السائح موقف حافظ ابراهيم من الفصحى ومأساتها : (4)

ها هى أم اللغى تنعى لمصرعها	**ها هى الفاظها تبكى وتبكينا**
صارت شبيهة أثواب مرقعة	**تضم من خرق طمر ملايينا**
خلطتموها بألفاظ مشوهة	**ولم تقيموا لها يوما موازينا**
وصفتموها بضيق فى النطاق وقد	**كنتم على وصفكم قوما ملومينا**
بل هى أم لغات الارض أجمعها	**كل لها عند ضيق اللفظ يأتينا**
يا ربة الحسن ، ياذات الجمال ويا	**مليكة الامر رفقا اذ تلومينا**

وفى حومة الذود عن الفصحى نجد حملات اصلاحية لاستنهاض الشعب لشق طريقه الى المعرفة التى يلوح منها منار الشاطىء ، وكان الجهل وقتها والمستعمر يقفان على صعيد متساو من حيث العداوة أمام الشعب وكانت الحملات ترابط فى واجهتين واجهة المستعمر السافر ، والمستعمر المقنع وكان الجهل أشد الاقنعة كثافة ، فلا غرو ان يستهدف معاول الاصلاح :

(1) انظر الحلقة السابقة فى العدد السابع من مجلة الفكر افريل 1962
(2) مجلة الشهاب السنة الرابعة 29 ماى 1928 عدد 149
(3) مدلول الاقوام هنا هى الشرذمة التى ضللها المستعمر باسم الدين لافساد الدين
(4) شعراء الجزائر فى العصر الحاضر ج 1

أناس دعوكم للضلال ، وناصبوا ... ذوى العلم والتقوى العداء لهم حمقا
الـم يعلمـوا ان الجهـالة ، غبهـا ... وخيم ، وان المرء بالجهل كم يشقى
فويـل وويـل ، ثم ويـل لجاهل ... قضى عمره بطلا ولم يعرف الحقا
رمى جانبا تلك العلوم التى بهـا ... غدا الغير حرا عند ما حرم الرقا
فمن رام منكم نيل عـز ورفعـة ... بدنيا واخرى فليبادر لها سبقا(5)

وخيبة الامل التى كانت انعكاسا للجهـل الضارب اطنابـه فى اوساط الشعب ، كانت تقابلها اشراقة امل فى استقبال المتغربين العائدين بالعلم الى وطنهم المهيض الجناح وهم قلة افلتت من قبضة المستعمر الى جامع الزيتونة ، بتونس ، فعادت الى الشعب عودة الكتيبة المدججة بالسلاح ، فانحصرت فيها آمال الخلاص : (6)

فأهلا وسهـلا بالذين تطوعوا ... لخدمة هذا الشعب شعب الجزائر
تجاوا على هذى الجزائر ، بعد ما ... سجاالليل،اشباهالبدورالزواهر
فقر بهم شعب الجزائر ، مثلما ... تقر لـدى الاياب عين المسافـر
شبـاب يرى تفريطه فى بـلاده ... وتضييعه للقوم احـدى الكبائر
ليهنأ بهـم شعب الجزائـر انهم ... هـداة ذوو خبر بوعر المصاير
فلا زال ابناء الجـزائر ، طالعا ... عليهم فتى منهم جميل المظاهـر

وجدت **المدرسة الحرة** طريقهـا الى الحياة ، ولكنـه طـريق ملؤه الاشواك والعقبات لا يمكن تخطيـه الا بخطى داميـة ، وقـد تتعثر الخطى فى منتصف الطريق فيقيل الشعب العثرة بعرق جبينه ، وسعة صدره ، معلقا امله ببناء المدرسة وافتتاحها فى يوم مشهود ولو لم تبن المدرسة الا فى سبيل ذلك اليوم المشهود الذى يرتفع فيه صوت الضاد مدويا وصوت العلم صارخا فى جمهور الشعب الـذى فـرض عليـه المستعمر ان يعيش افـرادا ـ لكـانت اسدت للشعب اليد الطولى فى حفظ وحدته وتماسكه ، واشعاره بالرابطة التى كادت تنفصم عـراها .

ولكن المدرسة كانت لما وراء اليوم المشهود،كانت ثكنة للجيل الصاعد،وقلعة للفصحى ، مدرسة مهما تنكر لها المستعمر فلا اخاله جاحدا رسالتها فى خلق الوعى الشعبى واذكاء الشعلة الثورية :

يـا دار انت على التقـوى مؤسسة ... بنـاك بالطهـر مرصوص ومشدود
يـا دار حملت آمال البـلاد ، ففى ... فنـائك اليـوم اشبـال صناديـد
يا نشأة العلم ، يا فخر البلاد ، ويا ... روح الجـزائـر تقـديس وتمجيد
يـا نشأة العلم لا تقعـد بكم همم ... عن الجهـاد فـان الوقت محـدود
كونوا الخلاص لشعب لا نصيب له ... ممـن يعـذبـه الا المـواعـيـد

(5) الابيات لـ (فتى الاصلاح) الشهاب 27 اكتوبر 1927 عدد 119
(6) شعراء الجزائر فى العصر الحاضر ج 1 .

وحطموا القيد والاغلال ان له	**فما ، وجسما ، فموصود ومصفود**
أمانة الشعب قد شدت بعاتقكم	**فما لغيركم تلقى المقاليد**
فابنوا المدارس في عرض البلاد فما	**غير المدارس للتحرير تمهيد (7)**

تلك هي رسالة المدرسة ، ورسالة نشئها في الحفاظ دون الفصحى التي ابقت على الوشيجة التي تربط الشعب بماضيه المجيد ، ورمت بنظره الى الغد في تطلع متحفز .

ولكن الرسالة لخطورتها في نظر المستعمر ، كان يؤلب للنيل منها ومن قداستها كل امكانياته ، ويجند لها حتى من ابناء الشعب من يرميها بكل نقيصة ، فاصبح المتحمل لها هدفا للضربات الاستعمارية المباشرة ، وغير المباشرة على يد الاعوان الذين يغضون الطرف من رسالة العلم لانها رسالة معنوية ، وكانت المادة ميزان الحياة بالنسبة لهؤلاء الاعوان وبالنسبة لجانب كبير من الشعب الذى حرمه التفقير الاستعمارى لذة الروح والمعنى ، والابقاء على الاعتزاز بهذه الرسالة يتطلب ايمانا بها راسخا ، وتضحية صامدة ، وتحكيما للنظرة البعيدة المتفانية في اهداف الغد ، حين يحكم ذو النظر القصير المصلحة المستعجلة العابرة ، وهو ما نستشفه من ابيات محمد العيد : (8)

ارى جل اصحابي ازدروا بوظيفتي	**وقالوا هموم كلها ووجائع**
وقد زعموا عمري مع النشء ضائعا	**وتالله ما عمري مع النشء ضائع**
سيروون عنى الشعر والعلم برهة	**وتطلع للاسلام منهم طلائع**
فمنهم خطيب حاضر الفكر مصقع	**ومنهم اديب طائر الصيت ذائع**
ومنهم ولوع بالقوافي ، لفكره	**بدائه في ترصيفها وبدائع**
ومنهم زعيم للجزائر قائد	**له في مجالات الجهاد وقائع**

نظرة بعيدة من السهولة بمكان ان نعيش اليوم واقعها ، ولكن من الصعوبة بمكان ، ومن التضحية بمكان استحضار هذا الواقع والاقتناع به قبل ربع قرن ، ولكنها النفوس الابية ، غضت الطرف عن النعيم الزائف الذى زخرفه المستعمر لاجتلابها ، وطارت الى النعيم المتجاوب مع كرامة الشعب في ظل دينه ولغته ، طارت اليه على اجنحة التضحية ، والتلاحم الراسخ مع المميزات القومية لهذا الشعب وفي مقدمتها الضاد : (9)

رعى الله في ارض الجزائر نهضة	**مباركة في العلم تسمو الى النجم**
وترمى الى اهدافها بقصودها	**موفقة الانظار صائبة السهم**
وتنشىء للفصحى مدارس عدة	**مشيدة البنيان محكمة الدعم**

(7) الابيات لمفدى زكرياء في افتتاح دار الطلبة بقسنطينة . جريدة البصائر
(8) و (9) محمد العيد آل خليفة ، ابو القاسم سعد الله ، طبع دار المعارف ص 66 و 218

وكانت القوانين الاستعمارية الجائرة ، الجارية على اعتبار الفصحى لغة أجنبية ، وتوطين اللغة الدخيلة ، تستثير فى الشعب تمسكا اقوى وتشبثا اعنف بابنة عدنان

تحن الى نيل الحقوق نفوسنا ... وتأبى علينا نيلها قوة الغشم
ونقصى عن الفصحى ونلهى بغيرها ... وليس سوى الفصحى لسان لنا رسمى
وما نحن الا من سلالة يعرب ... فمن رام عنها فصلنا باء بالرغم (10)

واذا كان الضاد مرجع الفضل فى المحافظة على الرابطة الاخوية التى تربط بين ابناء الجزائر ، وهم المستعمر فك عراها ، وكان مرجع الفضل فى استجلاء الهوة السحيقة التى تفصل بين الشعب والدخيل ، وهمه استبعادها باغشية ضبابية • فبالاحرى ان تكون الرابطة الواسعة بين الجزائر والشعوب العربية ترجع فى فضل الابقاء عليها الى الضاد :

صل العرب العرباء واحم لسانهم ... فانك من اصلابهم تتحدر

ويقول محمد العيد :

يا شباب اتجه الى الشرق واحفظ ... كل كنز له اليه انتساب
انما الشرق للعروبة ورد ... بارد الماء سائغ مستطاب
هو صفو وغيره لك شوب ... فرد الصفو لا ترد ما يشاب

واحيانا تتلاشى ملامح هذه الرابطة ، وتتوارى معالمها • فيستمد التائه الحيران البصيص النورى من الضاد :

حرت فى عزونا الى العرب ، لولا ... فكر خصبة ، ولسن حداد (11)

حرية الصحافة :

دبت الحياة فى الضاد ، بفضل تلك الجهود المضنية من عرق شعبى متصبب فذهب يتحسس ميادين لنشاطه فى المدرسة والنادى والصحيفة ، وليس من السهل ان تنفتح هذه الميادين ، وبالاحرى ميدان الصحافة ، وحرية الفكر ، وحرية القلم ترزح فى قيود من الكبت الاستعمارى ، ولكنها النفس الجزائرية البناءة ، التى لا تتذوق لذة العمل الا فى المرتقى الصعب ، فاستطاعت بهذه الروح ان تفتح صدور جرائد وطنية ، وجد الضاد فيها كل متنفس ، وطلعت عليه باشراقة أمل تكاثف حولها ما تبخر من آمال ، وعلى ضوئها بانت له معالم الطريق ، وحول الصحيفة التى احتضنت رغبات الشعب التفت الجهود ، واليها اشرأبت الاعناق ، وتباشر الشعر بمواليدها وحتى بالموءودة منها قبل ان ترى نور الحياة ، وكانت الآمال تسابق صدور الجريدة يجسمها شاعر فى

10 و 11 انظر : محمد العيد آل خليفة ص : 64 ـ 65

قصيدة ، وقد تصادر الجريدة قبل الصدور ، فتبقى القصيدة تشتكى اليتم ، وتجسم مأساة الفكر فى ظل الارهاب الاستعمارى : (12)

حى (الجزائر) ما دامت تحيينا — وانهض بشعب قضى فى جهله حينا
واعمل لخير بلاد ، طالما هضمت — حقوقها ، واتخذ من حبها دينا
حى (الجزائر) ما قامت بواجبها — وحى صاحبها مهما يحيينا
تلك الصحافة لو تندى الاكف لها — لا شىء عنها مدى الايام يسلينا
مرحى لها ولمن قاموا بواجبها — يدعوننا علنا ، للحق مصغينا

ولا يألو الشعر جهدا فى التنويه برسالة الجريدة ، بتعداد أهدافها وغاياتها حتى تجد من الشعب الحنو والعطف انوجدت من المستعمر الجفاء والقسوة: (13)

ان الصحافة نور للبلاد ، اذا — سارت موفقة فى احسن السبل
هى الفؤاد لشعب قد غدا سكنا — هى الحسام طويل الحول والحيل
هى اللسان لها حكم وسيطرة — هى الرسول لدى الاجناس والدول
هى الطبيب يداوى من به مرض — من الجهالة ، او ميل الى الزلل
تهذب القوم للاصلاح ترشدهم — وتدفع الجور ، كالارهاق والختل
فامة نبذتها ، لم تنل ابدا — ما ترتجى ، لحياة العز لم تصل

واذا استدعى استدرار عطف الشعب على الصحافة ، ان يذكره الشاعر بانها العزاء عن حسامه المفلول فى المعركة ، بل هى الحسام ذاته ، وانها العوض عن المنبر المخرس ، واللسان المقطوع ، فقد يستدعى الاستدرار ايضا التفاتة الى الماضى الماضى الذى هو العزاء ، كل العزاء لشعب حرم حاضره فكاد ينكره ، لولا استعطافه بصور غابرة ما زال يتجاوب معها اعتزازا وفخرا وايمانا برسالتها ، فليست الصحافة صحافة ، ولكنها (سوق عكاظ) ، ولكنها (ذو المجاز) (14) بل هى تتخطاهما اهلية لاداء الرسالة ان ساعدتها الظروف :

ان الصحافة للشعوب حياة — والشعب من غير اللسان موات
فهى اللسان المفصح الذلق ، الذى — ببيانه تتدارك الغايات
فهى الوسيلة للسعادة والهنا — والى الفضائل والعلا مرقاة
ما ذو المجاز وما عكاظ ، وما وما — ان ساعدت لرواجها الاوقات

(12) من قصيدة للطيب العقبى قالها فى جريدة (الجزائر)، وقد صودر العدد الاول من الجريدة قبل صدوره ، فبقيت القصيدة معلقة لم تنشر بها . انظر شعراء الجزائر

(13) من قصيدة لرمضان حمود . انظر جريدة (وادى ميزاب) نوفمبر 1926 عدد 9 المكتبة الوطنية بتونس .

(14) القصيدة لابى اليقظان بعنوان (الصحافة) . انظر شعراء الجزائر ج 1 .

وانى للاوقات ان تساعد على الرواج ، والرواج من حقوق الدعايات الاستعمارية وحدها ، واذا برزت ذات الجلالة لتنهض بحمل الآمال الذى كاد كاهل الشعب ان ينوء بها ، وخطت خطواتها حذية الركب الذى اوشك ان يضنيه طول الطريق ، فانها نفسها غالبا ما تفتقر الى من يحدوها ، وكان صاحبها رهين مسؤولية لو لا مساندة الشعب له لالقى عصا التسيار واختار سلامة الجلوس على الربوة :

يا رافعا قلما ، للحق تشهره	**جزاك ربك منحلا كمرتحل**
الى الدعاية ، فالآذان صاغية	**فاصدع بحق ولا تركن الى ملل**
فسر ودع قول من خست مقاصده	**(فى طلعة البدر ما يغنيك عن زحل)**
واندر ، ونهض بلادا ، ساء موقفها	**بين الانام ، وكانت قبل فى قلل**
وانفخ بها قوة تشفى الغليل بها	**واصرخ ، وحرض ، وايقظها من الكسل**

صيغة امر صارخة ، تعطيك صورة صادقة للارض الصلبة التى تزرع الصحافة فيها افكارها ، والتى لا يمكن ان تنبت الا تحت ضربات الفأس والمعول التى تشبه هذه الاوامر ، وما صلبت الارض الا بالجدب الفكرى ، والقحط الثقافى اللذين فرضهما الاستعمار على قرائح لا ينقصها الخصب ، ولكن تنقصها السماء السخية . رسالة وأى رسالة تحملها الصحافى الجزائرى يصارع بها دولة ذات حول وطول فتصرعه احيانا بهما ، ويصرعها حينا بأيمانه الراسخ ، وروحه المتوثبة ، وكثيرا ما تكون لها الغلبة ، فتطوى الصحيفة على كمد ، مطوية معها آمال الشعب ، ويخر اليراع الفدائى صريعا، منبعثة منه هذه الزفرات الجريحة : (16)

«... تضاعفت رياح الفتن ، وتوالت امواج المحن ، فهوت بها من منبرها العام ، الذى طالما هزت منه اوتار القلوب ، وارسلت منه اشعة النور الى ما وراء الغيوب . ولو ان النكبة وقفت عند هذا الحد ، لهانت المصيبة ، ولساغ مذاقها فان هذه الكوارث شىء عادى ، بالنسبة للصحافة خصوصا فى بلاد لم تكن فيه الضمانة الكافية لحريتها ، كما هو المتعارف فى البلاد الراقية ، ولكن تجاوز طمها حسب مقتضيات السياسة الى مديرها نفسه فحرمته من حقوقه الطبيعية ، والى قلمه فحجرت عليه الجولان فى ميادينه المشروعة ، فصدرت الاوامر بذلك الى اطراف البلاد

تلك صورة الواقع الذى عاشته الصحافة العربية فى الجزائر ، بريشة صحافى تجرع مرارته ، ودمعة سخينة على صفحة توارت برغبات الشعب الندية

(15) انظر نفس المرجع للقصيدة السابقة لرمضان حمود .

(16) من مقال لابى اليقظان رئيس تحرير جريدة (وادى ميزاب) التى صادرتها الحكومة ، انظر جريدة (ميزاب) 25 جانفى 1930 عدد : 1 . المكتبة الوطنية بتونس .

التى لا تكاد تجد متنفسا فى واجهة حتى يسابقها خنق الحريات بيد من حديد دخيلة·ولم لا تكون الصدمة قاسية ؟ والدمعة سخينة، وقد اغمد ـ عن كره ـ السلاح الوحيد الذى بقى فى يد الشعب ·

ولكى تعرف مـدى الآمـال التى كانت ترفرف حول الجريدة الجزائرية ، لتعرف مدى الخيبة بمصادرتها فاقرأ معى هذه الابيات لمحمد الهادى السنوسى الزاهرى ، كتبها وبعث بها الى ابى اليقظان : (17)

دعـا بك من قومى خيار شباب	فلا تنأ عن داعى الهوى بجناب
اذا كان همى هو همك ، فليكن	عذابك فى دور الكفاح عـذابى
وليس لنـا الا الجزائر مـوطن	ترابك فيها ، واحـد وترابى
هى الام وافت فى الصبا كل مرضع	وفيها اهتدى الساعون سبل صواب
ساقضى لها حق الامومة ، انها	بلادى التى فيهـا محط ركابى
هى الجنة الفيحاء من قبل نشأتى	وان كنت ظلما نـازلا بيبـاب
ولـولا زمـان بالممالك عاصف	لتم لهـا فى العز كـل نصـاب

اما الحرية والوشيجة التى تربطها بالصحيفة فلا تسل عنها ، واسترسل معى فى قراءة ابيات الزاهرى التى تحول فيها الى لسان حال الجريدة :

وكل امرىء حر الضمير ، فاننى	سأنزلـه منى فسيح رحـابى
وانى لحر فى حياتى ، وان امت	فحريتى المثـوى وحسن مآب
أحـرر شعبـا ، قد دهاه زمانه	بما ليس فى حسبانه وحسابى
تيقظت الاوطان بعـد خمولهـا	ولا زال يبكى من جليل مصاب
لعـل الـذى اودى به غير مرة	من الجهل، ينجاب انجياب سحاب

ونظرة واحدة يرميها المطلع على اسماء الجرائد والمجلات السيارة لتلك الفترة (18) يدرك مدى المعركة الطاحنة التى كانت الصحيفة تشق فيها طريقها ، والرسالة الكفاحية التى كانت تقوم بها ، وتشرع فيها قلما لا يقل حدة عن السيف الذى كان يشهره الامير عبد القادر فى ثوراته السلاحية ، وكأن الحرف تبوأ واجهة السيف المغمد ، والبندقية التى اخرست ·

(17) انظر القصيدة من جريدة (وادى ميزاب) 22 اكتوبر 1926 عدد 4 المكتبة الوطنية بتونس ·

(18) مثلا : الاقدام ، الشهاب ، الحق ، ذو الفقار ، التقدم ، الثبات ، الفاروق المنتقد ، الخ ·

وكان السيف فى عهد الامير يواجه عدوا سافرا ، فتحدد امامه الهدف ، لكن الحرف فى اوائل هذا القرن حتى الآن ، كان يواجه اعداء مقنعين ، الى جانب العدو الصارخ الذى يتجسم فى الرقابة ، التى لا اخال جريدة مرت على مقراضيها الا وكانما تصعد فى السماء الى جانب قصر ذات اليد بفعل الحصار المادى للجريدة وانتشارها او الوقوف دون المطبعة واجتلابها ، لكن كل هذه العقبات ان قصر عنها باع المادة فللروح باع اطول لا يضنيه ان يصل بين قطرين ـ مع بطء التنقل فى تلك الفترة ـ فى سبيل التئام صفحات جريدة : (19)

وتجاوبا مع التحدى فى الدم العربى ، لم يشتد ازر الكفاح الصحفى الا فى مثل هذه الغمرات وكانت الصحيفة تفضل ان تصدع بحقيقة مرة قد تكلفها حياتها ، اشرف لها من المداهنة مع طول العمر ، وكانت تخلق لنفسها حرية قد تتبخر بعد اربع وعشرين ساعة ، لكنها كانت تتنفس الصعداء فى تلك الساعات المحدودة من الحرية المفروضة تحت تأثير ايمانها برسالتها .

ان الصحافة بجانب النوادى والجمعيات لم تتمتع بالحرية بقدر ما هيأت اذهان الشعب ، لتقبل مفهوم الحرية والتشبع به ، حتى يصبح المفهوم على مستوى عام وقاعدة شعبية ، بعد ان كان محصورا فى اذهان النخبة .

---

(19) كانت بعض الجرائد الجزائرية تطبع فى تونس ، وتوزع فى الجزائر

(يتبع)

صالح الخرفى

تحيــة حــب للجزائــر

بقلم : علي خشارم

ٱرقصي نشوانة .. كالطّيـر .. تعلُـوكِ ٱلبَشائـرْ
وٱمرحي في غمرة الأفـراحِ .. يا أختي الجـزائرْ
وٱبسمي .. لادمع بعد اليـوم .. تسفحه المحاجـرْ
فلقد أطلّ الفجـرُ مزهـوًّا .. وأودى بالمجـازرْ

* * *

ٱرقصي جـذلانـة العينيـنِ .. يـابنتَ الشَّمـالِ
وٱخطـري كفـراشـةٍ هبّتْ تُحلّـق في دَلاَلِ
وٱرشفي مـن نور هذا الفجـر كـأسا كالـزّلالِ
وٱنظري ! فالكونُ .. كلّ الكـون حيّى في جلال

* * *

بشراك يـا اختـي الحبيبـة بالمنَى .. بشـراكِ
بالفَرْحَةِ الكبرى .. وبالأنوار تسطعُ في سمـاكِ
بشراكِ .. مـات الوحُش .. فارق طيفُـه دنياكِ
وتطهـرت أرضٌ لنـا مـن زارعـي الأشـواكِ

هلْ تسمعين صـدى التحايَا من ذُرى « أوراس »
تنهـالُ في طُهر النَّـدى . . عطـريةّ الأنفـاسِ
تُهدى إليكِ مع النسيم العذبِ في كل الأمـاسِي
منْ كلِّ شبلٍ يبعثُ التاريخَ من بطن الـرّواسي

* * *

بِنْتَ ٱلعرُوبة !. إيه . . يا أمَّ الشهيدةِ والشهيـدِ
هُـزّي لواء النّصْرِ خفّاقًا على نغـم « النشيـدِ . .
وٱبْنِي صروحَ المجـدِ في الدنيا لأبناء الخلـودِ
فَلأنتِ . . أنت اليومَ في إشراقة الفجر الجديـد

* * *

أنَا تُونس . . أنا أختك الخضْرا . . على مرّ الدّهورِ
هزَّتني ٱلبشرَى . .ففاضت فرحتي . .وطغى حبُوري . .
ورفعتُ أعلام الفدا . . ونثرتُ باقات الزهورْ . .
فلتهنئي . ! ولْتسعدي ! يا أختُ بالنصر الكبيرِ !

علي خشارم

انهيـــار قـــلب

قصة بقلم : ستيفان تسفايغ

تـرجمة : ابـو العيد دودو



لاصابـة قلب بصدمة حاسمة لا يحتـاج القدر دوما الى اندفاع عنيف وقوة ماحقة ٠ فلا جل نشر الفناء ، لمجرد سبب عابر تثور رغبته الجافية المـدمرة ٠ ونحن نسمى هذا التماس الاول الهادىء ، فى لغتنا الانسانية الصماء ، باعثـا ونقارن ، فى دهشة ، قدره الضئيل بهذه القـوة الفاعلة في غير هـوادة وباستمـرار عـلى الاغلب ٠ الا انـه من النادر ان يبدأ مصير انسان قبل ان يعرف الداء وتتضح اسبابه ويصبح واقعا مرئيا ٠ فالقدر يتسلط دائما ، فى الروح والدم ، على الداخل قبل ان يمس النفس من خارج٠ان معرفة النفس فى حد ذاتها دفاع عن النفس ولكن عبثا فى اغلب الاحيان ٠

* * *

استيقظ الرجل العجوز ـ كان اسمه صالومنون وفى بلدتـه كان يعرف باسم مستشار اللجنة السرى ـ ليلا فى فندق « فون غاردون » حيث رافق عائلته بسبب عيد الفصح ، وذلك من جراء الم شديد : لقد شعر كان الواح البرميل الحادة تعصر جسده فى قسوة وكانت انفاسه توشك ان تختنق فى صدره المتوتر ٠ فانخلع قلبه لذلك رغم انه كان كثيرا ما يعانى بعض الصفراء ٠ لقد كن المقرر له ان يسافر الى مـدينة كارلسباد للمعالجـة ولكنه ، خلافـا لنصيحة الطبيب ، اختار الاقامة فى الجنوب من اجل عائلته ٠

وتلمس جسده العريض فى حذر ، وهو خائف من ان يلم به عارض عطر ، وذلك ـ وقد اريح ، وسط الالم المستمـر ـ ، ليثبت فى الحـال : ان المعـدة فقط تضغطه بشدة ، لعل ذلك بسبب الطعام الايطالى غير المعتاد او بسبب تسمم من تلك التسممات التى كثيرا ما تصيب السياح هنا ٠ وسقطت يده وهو يسحب انفاسه ، غير ان ذلك الضغط ظل يكتمها فى صدره : وهكذا ترك فراشه على مهل ليقوم ببعض الحركات ٠ وفعلا : فابان الوقوف واكثر من ذلك فى اثناء المشى اصبح الضغط اخف ٠ واذ كانت الغرفة المظلمة صغيرة ، فقد خشى ان يوقظ زوجته النائمة فى فراش المرضة ويقلقها بلا مبرر ٠ لذلك ارتدى معطف النوم وادخل قدميه الحافيتين فى النعل اللبد واتجه نحو الممر فى حذر ليتمشى قليلا ويخفف من حدة عسر التنفس ٠

وفى اللحظة التى فتح فيها الباب واطل على الممر كانت ساعة الكنيسة ترن عبر النوافذ المفتوحة : فى الاول اربع دقات قوية ثم خفيفـة مـرتعشة فوق البحيرة : الساعة الرابعة صباحا ٠

كان الممر الطويل شديد الظلام ، غير ان ذكريات النهار الواضحة اتاحت له ان يمضي فيه قدمـا دون ان يصطدم بالحائط : هكذا كان يخطو ، من غير حاجة الى الضوء ، من نهاية الى اخرى ، وهو يتنفس بقوة ،ويعيد ذلك مرة ومـرة • فقـد لاحظ ، راضيا ، ان تلك الكماشة التى كانت تسور صدره قد انحلت تدريجيا • واستعد للرجوع الى غرفته ، وقد تخلص تقريبا من الالم بواسطة الحركات المجدية ، ولكن شيئا افزعه وجمد خطاه • كان ثمة هسيس، صوت خافت : همس فى الظلام ينطلق اليه من مكان ما قريب منه • همس رقيق ومع ذلك لا يمكن معرفته • شيء يقرض هيكل البناء • شيء يهمس ويتحرك • وان هى الا لحظة حتى سال من شق البـاب المفتـوح قطرة ضوء رفيعة ••• هتكت استار الظلام العديم الشكل • ما هذا يا ترى ؟

والتصق بزاوية بحركة لا شعورية ، لم يدفعه اليها فضوله ابدا ، وكل ما فى الامر انه امتثل لاحساسه البسيط بالخجل من ان يفاجأ وهو يمارس هذا السلوك الغريب فى ساعة متأخرة من الليل • ولكنه ، رغـم ارادته تقريبا ، تصور انه رأى ، فى تلـك اللحظة التى انطلق فيهـا الضوء الى الممر ، امرأة ترتدى ثيابا بيضاء • رآها تخرج من تلك الغرفة وتختفى فى طرف الممر الاخر حتى لقد طقطق مزلاج احد ابواب الممر الاخيرة طقطقة خفيفة ثم ساد الظلام من جديد وهدأت الانفاس •

واخذ يتمايل فجأة كأن صدمة اصابت قلبه فى الصميم • هناك فى اقصى نهاية الممر ••• هناك حيث ندت عن ذلك المـزلاج حـركة خـؤونة ، هناك كانت ••• هناك كانت غرفته هو ••• جناحه ذو الغرف الثلاث الذى اجـره لعائلته • منذ لحظات ترك زوجته تغط فى نوم عميق • واذا فلا يمكن ـ لا ، يستحيل ان يكون واهما ـ ان يكون هذا القوام الانثوى الذى عاد الآن من مغامراته فى غرفة اجنبية شخصا آخر غير ارنـا ، ابنته التى لا تكاد تبلـغ التاسعة عشرة •

وارتعد جسده كله ، فقد استولى عليه الهول وجمد اوصاله • ابنته ارنا ، الطفلة ، الطفلة الذكية المتعجرفة ـ لا ، هذا غير ممكن ، لا بد انه كان واهما ـ ماذا كانت تفعل فى غرفة اجنبية يا ترى ؟ واذا لم تكن ••• وحاول ان يبعد افكاره عنه كحيوان متوحش ، ولكن شبح القوام الهارب التصق بصدغيه فى اباء ولم يعد فى وسعه ان ينتزعه ، ان يبعده عنه : انه مقتنع الاقتناع كله • وتلمس جـدار الممر ، بهور الانفـاس ، الى ان وصل الى باب غرفتهـا بجانب غرفته • يا للهول ! هنا بالضبط ، بالضبط عند هذا الباب ، هذا الباب الوحيد ، كان خيط رفيع من الضوء لا يز ال ينساب عبر الفجوة ومـن ثقبـة المفتـاح ويشكل نقطة بيضاء خؤونة فى الساعة الرابعـة صباحـا لا يـزال الضوء يشتعل فى غرفتها ! ودليل جديد : الآن فقط طقطق الزر الكهربائى فى غرفتها ، فسقط الضوء الابيض فى الظلام بدون اثر ـ لا ، لا ، ان خداع

النفس لا يجدى فى هذا الموضع ـ ارنا ، ابنته هى التى تسللت الآن من فراش اجنبى الى فراشها ٠

وارتعدت فرائصه من شدة الهول والبرد ٠ وفى نفس اللحظة تفصد العرق من سائر جسده واغرق مسامه ٠ وكان اول احساس خامره هو ان يفتح الباب بالقوة وينهال عليها ضرباً بمجامع يديه ، هى الماجنة ، ولكن قدميه ارتجتا تحت جسده العريض ولم يكد يجد القدرة على العودة الى غرفته وفراشه ٠ وثمة تهاوى بافكاره الصماء فوق الوسادة كحيوان اصابته رصاصة طائشة ٠

واضطجع فى فراشه بدون حركة ، وعيناه المفتوحتان تحدقان فى الظلام ٠ والى جانبه كانت انفاس زوجته تتصاعد فى شبع ورى وهناء ٠ فخطر له ان يوقظها ويخبرها باكتشافه الرهيب ، ان يرهق قلبه بالصراخ ليسرى عن نفسه ٠ ولكن انى له ان ينطق بهذا الهول ويصوغه فى كلمات بصوت عال ؟ لا ، ابدا ٠٠٠ انه لن يدعه يلتمس الطريق الى شفتيه ٠ ولكن ما العمل ؟ ما العمل ؟ وحاول ان يفكر غير ان افكاره اختلطت فى رأسه عمياء كالخفافيش ٠ لقد كان ذلك غريباً جدا : ارنا ، الطفلة اللطيفة المتأدبة بعينيها المتصلقتين ٠٠٠ متى ، متى كان يجدها منكبة على الكتاب واناملها الوردية الصغيرة ترسم الحروف فى جهد ؟ ٠٠٠ متى كان يقودها من المدرسة الى الحلوانى ، وهى ترتدى ثوبها الازرق الشاحب ؟ متى احس قبلة الاطفال من فمها المحلى ؟ الم يكن ذلك امس ؟ لا ، ان ذلك كان قبل سنوات ٠٠٠ ولكن امس ، اجل امس فقط ، كانت تتوسل اليه ، فى صبيانية طاغية ، ان يشترى لها لباس السباحة الازرق الذهبى الذى كان يتقدم الواجهة بشتى الوانه الزاهية ٠٠ ابى ، ارجوك ، ارجوك ! ٠٠ ـ تتوسل اليه بيدين متشابكتين وفى ضحك ومرح لم يكن يستطيع مقاومتهما ٠٠٠ وها هى الآن ، الآن تتسلل ، على بعد عشرة اصابع من بابه ، ليلا الى فراش رجل غريب وتتدحرج هناك شبقة عارية ٠٠٠

وتنهد لا اراديا ٠٠٠ يا الهى ! يا الهى ! يا للعار ! يا للفضيحة ! ٠٠٠ ابنتى اللطيفة المصونة مع رجل ما ! ٠٠٠ مع من ؟ من يكون يا ترى ؟ نحن هنا فى « غاردون » منذ ثلاثة ايام فقط ٠ وهى لم تعرف احدا من هؤلاء المختالين المتبرجين قبل اليوم ٠ لم تعرف الكونت اوبالدى ذا الرأس الصغير ولا الضابط الايطالى ٠ ولا عرفت هذا الفارس الميكلنبورغى ٠٠، لقد تعارفوا فى اليوم الثانى فقط وذلك فى المرقص ٠ ايكون احد منهم قد ٠٠٠ ؟ لا ، لا يمكن ان يكون هذا هو الاول ، لا ٠٠٠ لا بد ان ذلك كان قد بدأ سابقا ٠٠٠ فى البيت ٠٠٠ وانا لا اعلم شيئا ، لا احزر شيئا ، انا المجنون ، انا المجنون الضريب ٠٠٠ ولكن ماذا اعرف عن زوجتى وابنتى على الاطلاق ؟ لقد كنت اشتغل من اجلهما نهار يومى ، اجلس فى مكتبى اربعة عشرة ساعة تماما مثلما كنت افعل سابقا بالحقائب النموذجية فى المحطة ٠٠٠ فقط لاجلب لهما

الفلوس ، الفلوس لكى تثريا وتكون لهما ثياب جميلة ٠ وعند ما كنت اعود مساء الى البيت تعبا منهوكاً ، اجدهما قد خرجتا : فى المسرح ، فى حفلات الرقص وفى السهرات ··· فماذا اعرف عنهما اذا وماذا كانتا تفعلان اليوم كله ؟ ···· والآن لا اعرف الا ان ابنتى تذهب ليلا الى الرجال وتقـدم لهم جسدها الطاهر الغض كواحدة من الشارع ٠ آه ياللعار ! ··

وظل الرجل العجوز يواصل تنهداته ، وكانت كل فكرة جديدة تزيد الجرح تمزقا لقد خيل اليه ان مخه دام مفتوح تنخر فيه ديدان حمر ٠ « ولكن لماذا صبرت على هذا كله ؟ ··· لماذا لا ازال نائماً هنأ اعانى كل هذا العذاب ، فى حين تسلم هى جسدها الفاجر لحلاوة النوم ؟ لماذا لم ادخل فى الحال الى غرفتها لتعلم انى اعرف جريمتها ؟ لماذا لم اكسر لها عظامها ؟ ··· لانى ضعيف ··· لانى جبان ··· لقد كنت دائما ضعيفا متخاذلا امام الاثنتين ··· لقد سلمت لهما بكل شىء ··· كنت فخورا جدا بانى اخفف عنهما عبء الحياة ما دامت حياتى انا قد تحطمت سلفا ··· لقد جمعت الفلوس بخدش اظافرى فلسا بعد فلس ··· وكنت على استعداد ان اقدم يدى لتنزع لحمهما لمجرد ان اراهما راضيتين فحسب ··· ولكننى ما كدت ارفه عنهما حتى صارتا تخجلان من وجودى بينهما ، فانا لم اعد بالنسبة لهما حسن الهندام نظيف الثياب ٠ انا جاهل جدا ··· ولكن اين كان يمكننى ان اتعلم ؟ لقد اخرجت من المدرسة وانا فى الثانية عشرة من عمرى ، وحتم على ان اكسب ، ان اكسب واكسب ··· ان احمل الحقائب النموذجية واسافر بها من قرية الى قرية ثم اصير وكيلا متنقلا بين مدينة واخرى ، لقد قمت بهذا كله قبل ان افتح دكانى الخاص ٠ وما ان ترقتا واصبحت لهما دارخـاصة حتى تنكرتا لاسمى القديم الكريم الطيب ٠ وكان لزامـا على ان اشترى منصبى كمستشار اللجنة ، كمستشار سرى وذلك لكيلا لا تخاطب زوجتى بعد بحرم صلمونصون ، لكى تصبحا من الاشراف ··· من السراة ! ·· من السراة ! ·· وعند ما كنت اثور ضد هذا النبل الزائف ، ضد عشرتهما « الراقية » كانتا تسخران منى ولما رويت لهما كيف كانت المرحومة امى تقـوم بشؤون المنزل ، فى دعـة وتواضع ، من اجل ابى ومن اجلنا فقط ··· عندها سمتانى رجعيا ٠ وسخرت ابنتى منى « انت رجعى ، يا ابى ! يا ابى ! » ··· اجل ، اجل انا رجعى ··· والآن تنـام مع الرجـال الاجـانب فى فـراش اجنبى ، هى طفلتى ، طفلتى الوحيدة ··· اوه يا للعار ! يا للفضيحة ! ····

هكذا كان العذاب النائح يندفع بصورة رهيبة من صدر الرجل العجوز ، بحيث استيقظت زوجته النائمة الى جانبه وسألته وهى بين النوم واليقظة « ماذا جرى » ولكنه لم يتحرك وكتم انفاسه فى صدره ٠ ونام هكذا ، جامدا ، فى تابوت عذابه المظلم الى ان طلع النهار وقد افترسته افكار كالديدان ٠

كان اول من حضر للفطور ، فجلس متنهدا ٠ وكانت كل لقمة تثير قرفه وفكر ·· انا وحيد من جديد ··· اجلس وحدى دائما ··· عند ما اذهب

صباحا الى المكتب ، تكونان هما لا تزالان نائمتين فى كسل ورفاهية ورغد ، فالحفلات الراقصة والمسارح تتعبهمـا ٠٠٠ وحين اعـود مساء الى البيت ، اجدهما قد خرجتا للتسلية ، فى السهرات : اذاك لا تكون لهما حاجة بى ٠٠٠ اوه ! ٠٠٠ لقد افسدتهما الفلوس الملعونة ، الفلوس ، الفلوس ٠٠٠ هـذا ما جعلهما غريبتين عنى ٠٠٠ لقد كومت الفلوس ، انا الابله المعتوه ، ادخرتها وحرمت نفسى منها ، افقرتها بذلك وافسدت الاثنتين ٠٠٠ لقد قضيت خمسين سنة مجنونة من عمرى اكد واتعب دون ان اعرف الراحة يوما واحدا ٠ وها انا الآن لا ازال وحيدا ٠٠٠

وبدأ ينزعج تدريجيا ٠ « لماذا لا تأتى ؟ ٠٠٠ اريد ان اكلمها ، لا بـد ان اقول لها ذلك ٠٠٠ يجب ان نترك هذا المحل حالا ٠٠٠ لماذا لا تأتى ؟ ٠٠٠ لعلها لا تزال تعبة ، تنام مرتاحة الضمير منعمة ، وانا امـزق قلبى ، انـا المعتوه ٠٠٠ وامها ! انها تتنظف الساعات الطوال ٠ فلا بد لها من ان تستحم ، ان تستعمل المساحيق ان تتبهرج وتتمشط ،ولذا فهى لا تنزل قبل الحادية عشرة ٠ فهل هذا غريب ؟ ثم ماذا يصير من طفلة والحالة هذه ؟ اوه ! الفلوس ، الفلوس الملعونة ! ٠٠٠ »

واحتدمت حوله خطى خفيفة ٠ « صباح الخير ، يـا ابى ! هـل استرحت جيدا ؟ » وانحنت من جانب وطبعت قبلة رقيقة على الجبين الطارق ٠ فتراجع برأسه بحركة لا ارادية ، لقد اثارت كراهيته رائحة عطر كوتى الحلو ـ الخانق وبعد ذلك ٠٠٠

« ماذا جرى لك يا ابى ٠٠٠ هل انت مضطرب المزاج مـن جديـد ؟ ٠٠٠ غارسون ! قهوة « وجمبون » بالبيض ٠٠٠ هل كان نومك رديئا ام انـك سمعت اخبارا سيئة ؟ »

وسيطر الرجل العجوز على اعصابه وطأطأ رأسه من غير ان يتجاسر على النظر اليها وسكت ٠ كان ينظر الى يديها فقط ٠٠٠ الى اليدين المحبوبتين فوق المائدة : كانتا تلعبان فى كسل فوق غطاء المائدة الابيض ككلاب السلوقى الرفيعة المدللة ٠ وارتعدت اوصاله ٠ فقد كانت نظراته الوجلة تساقط فوق ذراعيها اللدنتين اليافعتين الصبيانيتين اللتين كثيرا مـا كانتا تحضنانـه قبل الذهاب الى الفراش ٠٠٠ كم مر على ذلك يا ترى ؟ وحدق فى قبة صدرها البديعة التى كانت تهتز عند التنفس تحت لباس السباحة الجديد ٠ وفكر فى حنق « عارية ٠٠٠ عارية ٠٠٠ تدحرجت مع رجل غريب ٠٠٠ مسك هذا كله ، لمسه داعبه ، ذاقه ، تمتع به ٠٠٠ لحمى ودمى ٠٠٠ اوه يا للغريب النذل ! اوه ! اوه ! »

وتنهد من غير ان يشعر بذلك ٠ فسألته فى تملق « ما بك يا ابى ؟ »

ودوى فى اعماقه « ما بى ٠٠٠ عندى بنت بغى ولست اقدر على قول ذلك لها ! » ثم همهم بصوت غير واضح « لا شىء ! لا شىء ! » والتقط الجريدة

بسرعة ليبني سورا من الاوراق المنشورة يحجبه عن نظراتها المتسائلة ، لانه كان يشعر بعجز عن النظر فى عينيها ٠

وارتجفت يداه وهذا يعذبه « لا بد ان اقول لها ذلك ٠الآن ما دمنا وحيدين ٠» ولكن صوته ابى ٠ ولم يجد حتى القدرة على رفع بصره اليها ٠ وفجأة دفع الكرسى الى الوراء دفعة قوية وهرع الى الحديقة بخطوات ثقيلة ، فقد شعر بدمعة تنساب فوق خده لم يكن ينبغى لها ان تراها ٠

* * * *

وهام الرجل العجوز ذو الساقين القصيرتين فى الحديقة وحدق طويلا فى البحيرة ٠ ورغم ان داخله كان اسمى ، بسبب الدموع الحبيسة ، فانه لم يستطع الا ان يلاحظ ، كم جميلة هى هذه المنطقة ! فمن وراء الاضواء الفضية الناعمة كانت الروابى ترتفع ، خضراء متماوجة ، وترنو بالوانها الزاهية ، وقد تشابكت فوق اعاليها خطوط سوداء من اشجار السرول ٠ ومن خلفها كانت الجبال المنحدرة تحنو ، فى غير صلف ، على رقة البحيرة وعذوبتها حنو الاباء على الاطفال اللاعبين ٠ ما اروع ذلك كله وهو يمتد وينداح ويومىء ايماءات وردية متفتحة مرحبة ! ابتسامة الله الخالدة فى جنوبه تغرى المرء بان يكون خيرا سعيدا !

وهز الرجل العجوز ، مرتبكا ، رأسه الثقيل ٠ « ان فى مقدور المرء ان يكون سعيدا هنا ٠ لقد اردت ذلك مرة ايضا ٠٠٠ اردت ان اخبر بنفسى مدى جمال عالم السعداء ٠٠٠ بعد خمسين سنة قضيتها فى الكتابة والحساب والمساومة وجمع المال الحرام اردت ان اقضى مرة اياما سعيدة ، مرة ، مرة فقط قبل ان اقبر ٠٠٠ يا الهى ! ست وخمسون سنة ! اذا بلغها المرء تسللت يد الموت الى جسده ٠ وثمة لا يجدى الفلوس ولا الاطباء ! ٠ انى لم اكن اريد قبل غير التنفس بسهولة ٠ اردت فقط ان اتمتع مرة واحدة ٠٠٠ ولكن ابى المرحوم كان يقول دائما : ان المتعة ليست ملكا لاحد منا ، فالمرء يحمل رزمته على ظهره حتى القبر ٠٠٠ امس فقط كنت اظن ان من حقى انا ايضا ان اتمتع ٠ امس كنت انسانا سعيدا او شبيها بالسعيد ٠ كنت افرح بابنتى الصغيرة الناضرة افرح لفرحها ٠٠٠ ولكن الله عاقبنى ٠٠٠ اخذها منى ٠ لان فرحى بها قد انتهى الى الابد ٠٠٠ وها انا الآن لم اعد استطيع الحديث مع ابنتى وفلذة كبدى ٠٠٠ ولا استطيع النظر فى عينيها ٠٠٠ الى هذه الدرجة اصبحت اخجل منها ٠٠٠ منذ الآن سيكون حتما على ان افكر دائما ، فى البيت ، فى المكتب وفى الفراش ليلا : اين هى الآن يا ترى ، اين كانت وماذا فعلت امس ؟ وبعد الآن لن اعود ابدا الى البيت لاجدها جالسة هناك ، فتثبت لاستقبالى ويطفر قلبى فرحا حين اراها يافعة جميلة ٠ وعندما تقبلنى ، ساتساءل ، من تملكها امس ، هاتين الشفتين ؟ ان غيابها عنى سيجعلنى اعيش فى خوف دائم وسوف اشعر بالخجل كلما نظرت فى عينيها ــ لا ، ان المرء لا يستطيع ان يعيش حياة كهذه ٠٠٠ لا يستطيع ان يعيش حياة كهذه ٠٠٠ »

وتمايل مهمهما كالسكران ٠ ثم عاد يتطلع فى البحيرة من جديد ٠ وعادت الدموع تنساب الى لحيته ٠ فاضطر الى خلع نظارته ووقف فى الطريق الضيقة بعينيه المبلولتين القصيرتين فى النظر ٠ فوقف طفل البستانى ، وكان قد مر به فى ذلك الحين ، يضحك منه بصوت عال ويمازحه بكلمات ايطالية ٠ فنبهه ذلك من غيبوبة ألمه ٠ وتناول نظارته وانسل إلى حاشية البستان ليختفى هناك فوق مصطبة ما ، عن اعين الناس ٠

ولكنه ما كاد يقترب من مكان منعزل فى البستان حتى افزعه ضحك مقبل من جهة اليسار ٠٠٠ لم يلبث ان عرفه ٠ فتمزق له قلبه ٠ لقد كان موسيقاه منذ تسعة عشر عاماً ، ضحك عجرفتها الخفيف ٠٠٠ من اجل هذا الضحك سافر الليالى الطوال فى الدرجة الثالثة حتى بوزن وبلاد المجر ، وذلك لمجرد ان يجلب لها شيئاً من هناك ، التربة الصفراء التى اينع فيها هذا المرح ٠ لقد عاش من اجل هذا الضحك وحده حتى علق بجسده ، حنقا ، داء الصفراء ٠٠٠ فقط ليظل هذا الضحك رنانا حول الثغر المحبوب ٠ والآن هو هذا الضحك الملعون يقطع منه الاحشاء كمنشار حام ٠

ومع ذلك فقد انجذب الرافض اليه ٠كانت واقفة فى ملعب التينس تدير الميجار فى يدها العارية ، مرتخية ، المفاصل ، وترميه الى اعلى ثم تمسكه ثانية ٠ وفى نفس الوقت كانت الضحكات المتعجرفة تتصاعد مع الضربات الصاخبة الى عنان السماء اللازوردية ٠ وكان الثلاثة الرجال ينظرون اليها فى اعجاب واكبار ٠ كان الكونت اوبالدى يرتدى قميص التينس الابيض المرتخى ، وكان الضابط يرتدى بدلته الرسمية الضيقة الموترة لعضلاته ٠ اما الفارس فكان يرتدى سراويل الركوب٠ ثلاث قامات رجالية حادة القسمات والملامح كانها تماثيل تنتصب حيال هذه اللاعبة الحالمة كالفراشة ٠ ونظر اليها الرجل العجوز نفسه مندهشا ٠ يا الهى ! ما اجملها فى ثوبها المنحسر عن ساقيها والشمس تنداح فى الشعر الذهبى ! حتى اعضاؤها اليافعة نفسها تشعر بخفتها فى الجرى والوثب ! وهذه المفاصل الرخوة ذات الايقاع تطيعها فاتنة مفتونة ٠ ها هى الآن ترمى كرة التينس ، متعاظمة ، فى الجو ثم ترمى ثانية وثالثة ٠ فما اروع القد المشوق وهو يتثنى ويندفع ويهتز ويسرع الى مسك الكرة الاخيرة ! انه لم يرها هكذا قط تحرقها شعل متعجرفة ، شعل بيض مدمرة تحمل بخار الضحك الفضى الى لهيب الجسد ٠ ــ الهة عذراء نفرت من لباب البستان الجنوبى ، من زرقة البحيرة العاكسة الناعمة : فهذا القوام المشوق لم يتوتر ابدا ولم يتراقص فى اثناء اى لعب مجهد عند ما كانت فى البلد ٠ ابدا لا ، ابدا ٠ انه لم يرها قط على هذه الصورة فى داخل المدينة الصماء المزدحمة الاسوار ، كما انه لم يسمع صوتها فى الغرفة والشارع رنانا مغردا كانه صوت القبرة ، منطلقا من رطوبة الحنجرة فى مرح يكاد يغنى ٠ لا ، لا ، انها لم تكن جميلة قط الى هذه الدرجة٠كان يحدق فيها ويطيل التحديق٠ لقد نسى كل شىء ، كان يتأمل فقط هذه الشعلة البيضاء الهاربة ٠ ولو انه

وقف هكذا ليمتص صورتها بنظرة نهمة لما مسكت هي بالتالى الكرة الطائرة بدورة نشطة ، بقفزة سادرة ، وضمتهـا الى صدرهـا وهي تـوزع نظرات متعجرفة ضاحكة وتتنفس وتتمايل تعبا وحرارة ٠ « احسنت ٠ احسنت !٠٠ وصفق الرجال الثلاثة كما يصفق المرء بعد انتهاء مقطع موسيقى ، فقد اعجبوا بلزمها الماهر للكرة ٠ وايقظت هذه الاصوات الحلقية الرجل العجوز من نشوته ٠ فنظر اليهم فى حنق ٠ وطرق قلبه ٠ « هاهم الخبثاء ، ها هم هنا ٠ ولكن من كان منهم ؟ من من الثلاثة احتواها ؟ يا لسارقى النهار ! انهم انيقون حليقون معطرون ! عند ما كنت انا فى سنهم كنت اجلس فى المكتب بسراويل مرقعة وانحنى فى ذلة امام الزبائن ٠٠٠ وآباؤهم ، لعلهم لا يزالون حتى الآن يدمون اظفارهم من اجلهم ٠ اما هم فيسيحون فى العالم ويسرقون نهار الاله الطيب ٠ ولهم وجوه سمراء لا اثر للهموم فيها وعيون فاتحة وقحة ٠٠٠ ففى هذه الحالة يكون من السهل على المرء ان يكون مرحا نشيطا لا يحتاج الا الى كلمات محلاة يرمى بها فتاة مزهوة فتتسلل معه الى الفراش ٠٠٠ ولكن من كان من الثلاثة ، من هو يا تـرى ؟٠٠ واحد منهم ، انا اعـرف ذلك ٠ انه يرى جسدها العارى عبر الثياب ويلحس شفتيه بلسانه : لقد احتويت هذه ٠٠٠ ويعرفها حارة عاريـة ويفكر ، مساء اليوم ايضا ، ثم يغمزها ، ــ آه يا لهذا الكلب ! ٠٠٠ لو انى استطيع ان اجلده حتى الموت ، هذا الكلب ! ٠٠

ولاحظوه فى هذه الجهة فلوحت له ابنته بالمجداف محيية مبتسمة ، فحيـاه الرجال ٠ ولكنه لم يرد التحية وظل يحدق فى ثغرها المتعجرف بنظرات تقطر دما : « تستطيعين الضحك بعد يا عديمة الحياء ! ٠٠٠ لعل ذاك هناك يضحك ايضا فى نفسه ويفكر ، انه واقف هناك ، اليهودى العجوز الذى يملأ فراشه بالشخير ليلا ٠٠٠ لو انه عرف ، العجوز المعتوه ! ٠٠٠٠ اجل ، انى اعرف ، انتم تضحكون وتتجنبون رفسى كأنى شيء عفن ! ٠٠ ولكن ابنتى جميلة طيعة تسبقكم الى الفراش فى عهر ! ٠٠ وامها ، انها الآن سمينة الى حد ما ، مخضبة مزوقة ومبرجة ، ولكن لو حاول المرء ان يقنعها فانهـا قد تجـرؤ على رقصة قصيرة ٠ الحق معكم ، انتم ايها الكلاب ، الحق معكم ، ما دامت النساء يجرين وراءكم ، النساء الفاجرات ٠٠٠ وماذا يهمكم ان يعوج قلب الآخر من جراء ذلك !٠٠٠ فالمهم ان تشبعوا رغبتكم فقط ، ان يشبعن رغبتهم ٠٠٠ النساء الفاجرات ٠٠٠ ينبغى للمرء ان يطلق الرصاص عليكم ، ان يضربكم بالسياط اللاهبة ٠٠٠ ولكن الحق معكم ، ما دام احد لا يفعل ذلك ٠٠٠ ما دام المرء يأكل حنقه كما يأكل الكلب ما يلقى اليه ٠٠٠ اجل ، الحق معكم ما دام المرء جبانـا جبانا الى درجة تستحق الرثاء ٠٠٠ لا يأتى اليكم ليمسك الفاجرة ويجرها من اكمامها مبعدا اياها عنكم ٠٠٠ ما دام المرء يقف هنا ينظر ، والصفراء فى فمه ، فى جبن ، جبن ، جبن »

وتشبث الرجل العجوز بالسياج ، فقد هزه غضب الى حد الاغماء ٠ ثم بصق فجأة امام رجليه وغادر البستان

(يتبـع)

ندوة القراء

رأى فى خواطر حول الشعر

يجب بادىء ذى بدء أن أعترف بأن مقال الاستاذ محمد العربى عبد الرزاق رائع ، اذ أنه يفتح آفاقا عديدة ومديدة للبحث ، وهو ممتاز لأنه يضع نقاط استفهام كثيرة جديرة بالعناية من أصحاب الفكر والرأى فى البلاد العربية جميعا • واعجابى بالمقال يرجع الى كيفية تناوله لهذه المواضيع وجمعه لهذه الآراء الكثيرة

ومنذ زمن رأينا كتابا لهم شأنهم يشيرون الى بعض هذه الآراء ولكن الدراسة الواعية المحصةلم تستقر بعد فى نفوسهم بيد أن الزميل جمع هذه النقاط جمعا حسنا ، وأخرج منها مقالا ملفتا للنظر ، وباعثا على التأمل والدرس والتقصى •

واذن فمقال الزميل غوص فى حقيقة الشاعر ، فى نفسه ، فى فكره فى بيئته ، فى عصره فى مجتمعه وفى حقيقة الشعر وما هو عليه ، وما يجب أن يكون عليه أيضا • بيد أن الزميل خرج بتعريف جديد للشعر ما سمعنا به أبدا ، يقول : « فالشعر هو ذلك الجمال الخالد الذى يتوق اليه الانسان ولا يصل الى ادراكه الا بعض الموهوبين ممن دق حسهم وأرهفت عاطفتهم وروحهم » لست أدرى اى الجمال يعنى ؟ هل هو جمال اللفظة وجمال الجملة أو ما يطلق عليه اسم الاسلوب •• ؟ أم أنه الجمال لانه يعبر عن الخير ويدفع الى الحق ؟ أم انه الجمال لانه يصفى النفس ، ويطهرها كما قال فلاسفة اليونان ؟ وحتى لو سلمنا بهذا التعريف الجديد فاننا لا نرى ما يراه اذ أنه فات زمن المذاهب التى تنادى بأن يكون الفن للفن لجمال صوره وهو ما أثار متعة ولذة بقطع النظر عما ينطوى عليه بعد ذلك ، وهذا بالطبع جانب من جوانب مذهب الفن للفن أو ما يطلق عليه فى النقد الادبى « المذهب الجمالى » وهم يعنون الصور التعبيرية الشكلية •

وان كان يعنى أنه يدفع الى الخير والحق والفضيلة فاننا لا نرى ان الجمال هو الحق وهو الخير وهو الفضيلة ، اذ قد يكون الشىء حقا كل الحق ، وخيرا لكل

الخير ومع ذلك فهو ليس جميلا ، أو الجمال فى نفسك على أقل تقدير ، ألست معى عندما يصدر القاضى حكما فى قضية فانه حق فى نظر القانون وفى نظر الحيثيات بقطع النظر عن الواقع ومع ذلك فهو شىء قبيح فى نظر المحكوم عليه٠

ان الشعر هو التجربة الانسانية ٠٠ هو نظرة الشاعر الى الناس والى الكون والى الاشياء ٠ ان الشعر هو وقوع الاشياء على حس الشاعر على شكل معين ٠٠ انه هضم ما يقع على الحس والشعور والفكر ، ثم تمثيله واخراجه اخراجا جديدا وخلقه خلقا فيه روعة وجلال ٠٠ الشعر هو رؤية أبعاد النفس وكيفية تمثيلها للاشياء وتنظيمها وتنسيقها وايجاد العلاقات بين الجزئيات المتباعدة ولمها فى سلك واحد ودفعها الى الآخرين ٠

اننا نحب الشعر ونعشقه ما دام معبرا عن تجربة انسانية ممتازة ، ولو عبر الشاعر عن القبيح ٠ واقرأ معى هذه الابيات لعبد الرحمن شكرى ٠

مررت على قـرون لست أحفظها ... عـدا كان مربى الآبـاد والقدم
حتى بعثت على نفخ الملائك فى ... ابـواقهم وتنادت تلكمو الرمـم
وقام حولى من الاموات زعنفـة ... هوجـاء كالسيل حم لجه عـرم
فذاك يبحث عن عين لـه فقدت ... وتلك تعوزهـا الاصداغ واللمم
وذاك يمشى على رجل بـلا قدم ... وذاك غضبان لا ساق ولا قـدم
ورب غاصب رأس ليس صاحبه ... وصاحب الرأس يبكيه ويختصم
جـاءت ملئكة باللحم تعـرضه ... ليلبس اللحم من اضلاعنا الوضم

يقول الدكتور محمد مندور : « على الرغم من أن هذه الصورة المريعة تكاد تنفرد فى قوتها بين الادب العربى كله بل انها لتذكرنا بتلك العبقرية العاتية التى صدر عنها كبار الشعراء العالميين مثل (ملتن) ودانتى ، وأبى العلاء فى وصف بعض مشاهد العـالم الآخـر عـلى الـرغـم من ذلـك فهى صـورة قبيحة اذ تصور العـالم الآخر عـلى ما نحن عليه فى حيـاتنا الـراهنة ، من فساد وانحطاط ، فهـذا يسرق رأس ذاك ، وهـذا يخطف رجـلا أو ساقـا لا تلا ئمه »(I) ٠ ومعنى ذلك فنحن لا يهمنا الشىء المعبر عنه بقدر ما يهمنا كيف يرى الشاعر هذا القبح ٠٠٠ كما أننا نحب الشعر اذا عبر عن الشىء الجميل ـ لا لذاته ـ وانما لاننـا نـريد ان نستمتع بهذا الجمال وهو خليط بمشاعر الشاعر واحاسيسه ٠

ويذهب الزميل الى أن الشعر يجب ان يعبر عن أمانى الشعوب وآلامها فى

(I) الشعر المصرى بعد شوقى

مسراتها وأتراحها ، فى اندفاعها وصعودها ، فى كفاحها وانتصارها وانهزامها أيضا ، ويضرب المثل بالشعب الصينى ويرى بأن الشعر يجب ان يحصى هذا كله ، ويسجله تسجيلا ٠٠ وهو بعد ذلك ينقد الشابى ويتحامل عليه لانه قال فى ديوانه عن الشعب « أنه طفل صغير يلعب بالتراب » ٠

ونحن نذهب الى أن فى هذا القول مآخذ ٠٠ لقد فرغنا منذ زمن بعيد من أن الشعر أو الادب بعامة يجب أن يعبر عن الشعب ، بل لقد نادى العقاد بهذا ونزل بالشعر الى الشارع ، وله ديوان فى ذلك معروف ٠٠ بيد أن المشكلة فى كيفية هذا التعبير ٠٠ ان اردنا من الشعر أن يعبر عن هذا المليون من البشر وهو ينحنى فى لحظة واذا بمليون من الاشجار تداعبها النسمات فى لحظة أيضا ، وكأن يدا سحرية مستها ٠٠ أو أن يعبر الشعر عن الشعب الضعيف وهو يقهر الاساطيل ويقف أمام القلاع الفولاذية وتحت البراكين المتساقطة من مدافع النفاثات ٠٠ ان أردنا ذلك فاننا نذهب الى أن هذا أصلح بالوصف الاستعراضى للجرائد وهو قطعا مادة قيمة وثمينة للاذاعة والتيليفزيون ٠

وكما أسلفنا، نحن نريد من الشاعر شعورا واحساسا وتأملات ، وسياحات فنية ٠ نريد منه ان يرينا كيف نزل على احساسه هذا المنظر ، وكيف تقبلته نفيسة وماذا حذفت منه ، وماذا تركت ، وكيف تمثلته ، وكيف هضمته ، وكيف تسقته ، وعلى أية كيفية أخرجته ٠٠ نريد الاحساس بهذا المشهد الشاخص ومداه وعمقه ولا نريد الوصف الاستعراضى الذى يبدو من قول الزميل ٠ حقا ان النثر والاذاعة ينقلان هذه المشاهد نقلا مثيرا يدفع الى الخشوع حقا ٠

ويتحامل الزميل بعد ذلك على الشابى لانه قال : ان الشعب (طفلا صغيرا لاعبا بالتراب) والحقيقة أن هذا النقد يعود بنا الى نقد جماعة (سوق عكاظ) يوم كانوا يفضلون هذا الشاعر لانه قال هذا البيت بعينه ويؤخرون آخر لأنه قال هذا البيت بالذات ٠ ولوكان فى ديوان الشابى ـ أغانى الحياة ـ سوى هذين البيتين لرفعاه الى مصاف العظماء :

وفىصيحة الشعب المسخر زعزع	تخر لها شم العروش ، وتهدم
ألا ان أحلام البلاد دفينة	تجمجم فى أعماقها ما تجمجم (2)

(2) قصيدة الى طغاة العالم (اغانى الحياة)

بالاضافة الى أن شعر الشابى دعوة للشعب ان يحطم القيود ، ودعوة للفرد أن يتحرر ، ودعوة للنفس أن تخرج من سجنها ، ولا نغالى اذا قلنا ان أغانى الحياة صيحة عاتية وثورة عارمة ضد الاستعمار والفقر والجهل والمرض ٠٠ واذا كان الشابى لم يرضخ للمرض العضال الذى مزق جسمه وهو ينشد :

سأعيش رغم الداء والاعداء ... كالنسر فوق القمة الشماء

فكيف يرى أن الشعب طفل صغير لاعب بالتراب ٠٠ انه بيت أو شطر من بيت ، وافترض أنها أبيات ، ورأينا أنها فلتات لا عاصم منها لها أسبابها ومبرراتها وظروفها ، ومؤثراتها ، ولو عشنا نحن عصر الشابى وأحسسناه كما أحسه لران على قلوبنا اليأس واستسلمنا للقنوط ٠٠٠

وتأمل حواليك فلن ترى أيام الشابى من قال من الشعراء :

اذا الشعب يوما اراد الحياة ... فلا بد ان يستجيب القدر
ولا بد للظلم أن ينجلى ... ولا بد للقيد أن ينكسر

ان الشابى لحن لم يتم ، ونغم عصف به الزمن الغدور ٠٠ واذا كان شعراء المهجر جميعا كونوامدرسة أمريكا اللاتينية ، فان الشابى يكون وحده مدرسة فى افريقيا الشمالية العربية ، كما يقول الكبار من الادباء ٠

نحن لسنا فى حاجة الى النقد بقدر ما نحن فى حاجة الى المنهج فى هذا النقد وكيفيته ، ونحن فى حاجة الى الدرس الفاحص المتأمل أكثر مما نحن فى حاجة الى اصدار أحكام عامة شاملة وقاطعة وبجرة قلم فى خضم الافكار التى يزخر بها العالم ٠

ويرى الزميل بعد ذلك ان الشعر مهما كان جميلا فان كثرة استعمال صوره يفل من حده حتى تسكن اصوات السحر فيه ٠٠ ونحن لا نذهب هذا المذهب ، اذ معنى رأى الزميل أن كل صورة دبجتها يراعة شاعر او شاعرين فلا تصلح أن تكون شيئا ٠ أو على الاقل يقل سحرها ٠٠ نحن نرى الصور لا تقدم ولا تؤخر فى هذا المجال ٠٠ لأن الشعراء لا يأتون بالصور فى أشعارهم وهى طبق الاصل ، وانما المجددون يجددون فى الفكرة والصورة ٠٠ والصورة حينئذ ستكون مقدودة على المولود الجديد ٠٠ والصورة القديمة عندما نستعملها فى العصر الحاضر يجب أن نربطها (ونفصلها) على الفكرة الجديدة والمعنى الجديد والخلجات الجديدة ان صح هذا التعبير ٠

هذا بالاضافة الى أن الادباء الكبار فى الدنيا كادوا يجمعون على أن الكلمة

والجملة والصورة كلما كثر استعمالها ازدادت صقلا وبريقا ولمعانا لما تكتسبه من مدلولات جديدة ثرة على مر العصور ، غاية ما فى الامر ان السؤال فى رأيى يكون كالتالى : هل يمكن أن تعبر الصور القديمة على نظرتنا الجديدة للحياة والاحياء ؟٠٠ تأمل معى هذا البيت

سألت نجوم الليل هل ينقضى الدجى فخط جوابا بالثريا كخط (لا)

كثيرهم الشعراء الذين وصفوا الثريا بيد ان هذا البيت نظرة أخرى ومن زاوية أخرى وبمقدار آخر من الربط والوصف على شكل مخصوص مع أن الثريا هي هي فى كل الشعر العربى ٠٠ وهذه الدعاوى ليست بنت اليوم لقد عرفها الشعر العربى منذ كان فى المهد ، لقد قال عنتر :

هل غادر الشعراء من متردم ؟ أم هل عرفت الدار بعد توهم ؟

ولكن هل وقف العرب عند ذلك اليوم الذى أعلن فيه عنترة افلاس الشعر والشاعر ؟ بالتأكيد ، لا ، سواء أكانت الدعوة الى أن فاعلية الشعر ضائعة شكلا أو موضوعا ٠

وبعد : لقد سئل أبو العلاء المعرى يوما عن شعره وأنه ليس فيه جديد ومعاد مكرور ، فقال: دعوه يقرأ أربعمائة سنة، وسوف يخلد رغم الدهر والناس ٠٠

ولنا لقاء آخر مع صاحب مقال (الشعر بين الكبت والانطلاق) لنريه كيف أن الشعر الطليق خصب سائغ ، ولكنه خال من الموسيقى ، وسوف يرى أن الوزن ليس كبتا وسجنا ، وانما هو موسيقى ونغم وفن ٠

بوبقيرة العابد

كتب وردت الى المجلة

- **الأطياف العائدة** - **اللحن الاول**	بقلم أحمد عبد الله الفاسى (السعودية)
- **الدرس قبل اللعب**	بقلم على الشويكى (العراق)

مـع من قال نحن ··· والنحو الـعربى

كان مقـال الاستاذ محمد الامين خلفه ـ نحن والنحو العربى ـ (1) حلقة متممة لتبسيط النحو ـ التى تناولتها المجلات الادبية والمجامـع العلمية فى شتى انحاء العالم العربى ··· وهى ايضا حلقة متممة ـ لمباراة خرجنا بعدها بيد فارغة والاخرى لا شىء فيها ·

وان كانت هذه هى النتيجة التى قررها فى اول كلامه وقد اعتبرها فاشلة وكان مقاله من ضمن هذا كله ـ عندى ـ فهى ناجحة ومعمول بها فى المشرق فى نصف المقال كما دعم دعواه برأى دكتورنا ابراهيم السامرائى ·

والى جانب هذا أريـد ان اضع نقطة استفهـام صغيرة لان النقط سوف تتكرر ـ حول قوله : « واما محاولة الانتفاع بكلا المـذهبين فامر يبـدو من الصعوبة بمكان » ؟

ولا اريد ان اكثر من نقط الاستفهام بل اضيف واحدة اخرى ـ ارجو من الكاتب ان يشرح مدلول هذه الكلمات التى ابقى مدلولها فى داخل نفسه دون ان يبرزه عـلى الاوراق واتمنى ان يكـون ذلك من عيب النساخ « ان اساس الجملة العربية : هى « الفعلية » والجملة الفعلية يكـون فيها المسند (الخبـر) والمسند اليه (المبتدأ) او الفاعل او نائب الفاعل »

والحقيقة اننى لـم استطع ان افهم معنى هذه العبارة الوجيزة ··· فيهـا المسند الخبر ـ فان كان يقصد بالخبر هو المحكوم بـه فتختلط علينا الجملـة الفعلية بالاسمية وان كان يقصد به الخبر المعهود عند كل النحاة وهو الاسم فطبيعى ان تكون الجملة اسمية لانها لا تدل على التجدد أصلا والكاتب فى كلتا الحالتين هو يعرف الجملة الفعلية · واضافة الى هذا كله فالجملة غير مستقبحة عربية كما ارى اذ بحثت فى داخل كل كلمة لاجد خبر « يكون » فلم اجـده اصلا بل عثرت على نقطة انتهاء الجملة ولعلها تدل عليه وذلك من تبسيط النحو ولا حاجة الى الاكثار من نقط الاستفهام انما سوف افضل عليها ارقاما مع اعتبار الاولى اعدادا كسرية ـ تلغى عند المحاسبة الكبيرة ـ

1) « اما الجملة فى العـربية : ـ « فهى الوحدة الكلامية الصغرى » ـ التى

---

(1) راجع « الفكر » السنة 7 ـ العدد 4 ص 91

يبحث عنها النحو » لا أريد ان اقول ان هذا التعريف غير جامع ولا مانع لان ذلك من سيطرة الفلسفة علي العلوم كالنحو ونحن نتناقش في التبسيط · انما أقول ليس هذا تعريف الجملة اصلا في اية لغة كانت ، اذ المفروض فيها ان تؤدى صورة ذهنية الى جانب كونها وحدة كلامية ·

2) « ان العرب اعطوا المسند اليه (الضمة) لانه يتنقل » لم افهم معنى هذا التنقل هنا · انما الضمة هي اثر للعامل عند البصريين ومن الطبيعي انك اردت نفي فكرة العامل ضمنيا جريا وراء التبسيط · واذا اردنا ان نحتمي بالسهولة واليسر فالضمة علامة اسناد كما رأى ذلك الاستاذ ابراهيم مصطفى في كتابه احياء النحو (ص 50) واذا اردت ان تعرف اصل وجودها ووضعها فذلك مبنى على الاستقراء لا غير ···

3) تدعى ان اللهجة العامية او الدارجة هي من ضمن اللغات التحليلية « فهذا صحيح لا شك فيه ولكن اللهجات انما لجأت الى الاخذ به لانها فقدت تلك العلامات الاولى التى كانت تقوم بوظيفة التمييز بين المعاني الاعرابية المختلفة » (2)

اذا علمنا هذا فكيف نجعل اللغة الانجليزية التي فيها التركيب اصالة الى جانب اللغة الدارجة التي تعرضت للتغيير فطرأ عليها هذا الحكم

ومن ناحية اخرى ما قيمة المثال الذى ذكرته باللغة الدارجة اذا لم تشكله فمن اين نستفيد التركيب في المثال ـ اذ الفرق يظهر لو قلت محمد زار خوه ـ و ـ محمد زار خوه ـ فان اسكان الراء يدل على ان المسند اليه هو « محمد » ورفعه يوضح ان المسند اليه هو « خوه »

4) واذا أنهينا المقال لاحظنا بصورة عامة عدم التدقيق في التعبير كقولك مثلا : لم يحدث وربما لن يحدث (الاخاء) في مثالك خالد يؤاخيك :

فاذا كانت الصورة سلبية فالفعل لا يدل بحال من الاحوال على التجدد وبهذا اسلبت صفة اساسية للفعل وغير هذا عند ما تفسر الفعل المضارع عن عدم وقوع الحدث منه في الحال ··· وهو يدل على الحال والاستقبال عند كل النحاة ···

ثم ما هو وجه التعرض للعدد وتمييزه واستعمالاته ما دمت تقربان قواعد اعرابه مبسطة سهلة

---

(2) مدرسة الكوفة للدكتور مهدى المخزومى ـ 1955 ـ ص 294

وختاما وعودة على بدء ليس من العسير على اصحاب العقول النيرة ان يستمدوا من المذهبين ـ البصرى والكوفى ـ رأيا وجيها وقد بدأت عند ما قلت الضمة علامة الرفع فهذا رأى بصرى ثم تقول الضمة للمسند اليه والتابع وقد قال اهل الكوفة او من ابرز مذهبهم الضمة علامة اسناد

ومرة اخرى كان توفيقك بين المذهبين عند ما قلت « اما العلامة بين الفعل والفاعل فهى على صنفين » ولا يعنى هذا غير الفاعل ونائبه وقد قال البصريون بهما معا وقلت بعد هذا « واذا اردنا الاختصار فنقول فاعل ـ مبتدأ » تعنى جعل الفاعل ونائبه قسما واحدا وذلك كما لا يخفاك كوفى صرف

وقبل ان اتمنى مسايرة المغرب لما درج عليه المشرق واودع صديقى صاحب المقال اريد ان القى هذا السؤال ـ اذا كانت الكسرة هى للمضاف اليه فما قوله فى كسرة الاسم الذى يأتى بعد حرف الجر مثاله : كتبت عن النحو :

وارجو ان لا اعتبر من المتحاملين على فكرة تبسيط النحو العربى انما اردت ان اناقش جوهر الامثلة التى انبنى عليها المقال قبل ذلك .

محسن الحبيب
كلية الآداب ـ بغداد

الفهـرست

العـدد الثامن ـ مـاى 1962 ـ السنة السابعـة

الفكـر
مجـلة ثقافيـة

تصدر بتونس شهـريا

مـؤسسهـا ومديرهـا المسؤول

محمـد مـزالى

الادارة : 13 نهـج دار الجلـد ـ تـونس

تليفون : 778 260

الحساب الجارى : 33769 تونس

العنـوان : صندوق البريد 556 تـونس

- تصدر مجلة الفكر عشر مرات فى السنة وتحتجب فى شهـر اوت وسبتمبـر
- قيمـة الاشتـراك السنـوى :

اشتراك عادى فى تونس دينار و 200م

اشتراك الانصار 3 دنانير

فى المغرب وليبيا دينار ونصف

- الاشتراكات يرسل معلومها فى حوالة بـريـدية بـاسم المجلة او يصب فى حسابهـا الجارى
- المراسلات تكـون جميعـا بـاسم : مدير مجلـة الفكـر صندوق البريد عدد 556 تـونس
- الرسائل لا تـرد نشرت ام لم تنشر

EL FIKR - Revue culturelle mensuelle - 7e année - N° 8 - Mai 1962

طبع وحفر الشركة التونسية لفنون الرسم 20 نهج المالطيين ـ تونس

تـوزع هذه المجلة الشركة القـومية للنشر والتوزيـع